ملك الملائكة: لست تملك انت اي قدرة على تغيير هذا القرار، فليست هذه أرض

القرار والاختيار، لا خيار امامك، انه حكم مختوم بسمة الخاتم

العجيب.

يونوس: أي حكم هذا، أي حسابات هذه التي تجري هنا، أبعد كل ما جرى وحدث..

أفأجازى أنا بمثل هذا الجزاء، ليس هذا رؤى منام ولا حلم هو، هذا كابوس،

أو أنه مسرحية سخيفة.

ملك الملائكة: أفما ترى أن كلامك الذي تتكلم به الان، يكشف حقيقتك، ويظهر

الحكمة والعدل في هذا الحكم الذي يمنعك عن أن تكون هنا؟

يونوس: بل إن ما أراه ما هو إلا لعبة استنزفتني واستهلكتني بكل ما ملكت، لعبة مع

السراب. أفأرى في حكمك عدل وحكمة؟ أخطأت يا سيد.

فجر: ويحي!

ملك الملائكة: ويحك.. هلم الي، أي هذا الغافل.. أفتنكر أنت عدل السماء؟ ماذا

تعرف أنت؟ أقست أنت روح الحق، أأنت هو المشير من يعلم الخطأ

والصواب، أولي أنا تقول أخطأت، أي هذا الجاهل، أفلا تخشى أي هذا

الغر من أن يحمى عليك غضبي الان فأفنيك بلحظة؟

يونوس: فلأفنى يا سيد!

فجر: سيدي الحبيب..

ملك الملائكة: وماذا لو أضعك الان سجين كلمة كفيلة أن يقشعر لها بدنك وتصر

لها أسنانك.

يونوس: أي كلمة هذه؟

ملك الملائكة: كلمة أحرفها من صقيع.

يونوس: هات لي منها حرفا.

ملك الملائكة: الميم، الجيم والحاء وال التعريف، رتب الاحرف وفق فهمك.

يونوس: أهلا بالجحيم!

ملك الملائكة: ماذا لو أضعك في أحياء مدينة الموت ساعة واحدة فقط، ماذا

تقول؟

يونوس: بل ضعني في موتك هذا أبدا، فلا أعود الى حياتي السابقة، ماذا يوجد في

موتك أصعب من موتي؟ أخبرني، ماذا يزيد جحيمك عن جحيمي؟ ماذا

عندك أكثر؟ انا ابن سنين طويلة، قد رأيت في ايامي الكثير.. جلت وطفت في

البقاع والاصقاع، وها هي الندب والتجاعيد في وجهي تشهد، عن كربي

ووحدتي، ها هي الشقوق في يدي تشهد، عن المسالك والطرق التي مشيتها..

أنظر لوني، ترى كيف لوحتني الشمس، اذ سرت باحثا عن راحتي عريانا،

تفرس التجاعيد في جسمي، ترى الجبال والسهول التي صعدتها ونزلتها

وحدي، في البرد والحر، في الليل والنهار.. فماذا لديك بعد أجحم.

ملك الملائكة: جاهل أنت حقا، ولست تعلم شيئا عن برد الجحيم.

يونوس: ظننت ان الجحيم نار متقدة.

ملك الملائكة: بل هو برد وجليد، ظلمة حالكة، لا نور هناك ، لا نار، هلم هيا معي

فأمر وإياك بها الان، فتشهد خزائن الألم - هناك – حيث تفعل فعلك

الوحيد، تبكي – دون أن تكتفي، وان توقفت، تعود من جديد - تبكي..

لا حدود ولا حد، لا شيء هناك يواسيك، لا صوت عصافير، لا

شمس تشرق في الصباح وتغيب في المساء، لا عشب أخضر ولا

حديث، لا فصول، لا ألوان، لا أنغام قيثارة، لا نبضات قلب تسمع،

لا عيون، لا أنف، لا أذان، لا يدان، لا غيوم، لا حركة، هي أرض

"لا"، مدينة العدم، جوها من حديد، لانك بعيد عن "الكل" و"الكل"

عنك بعيد، في داخلك – في العمق العميق - تملؤك الحسرة، وانت

وحدك وحيد، بلا سلام، هلم هيا الان معي، أريك فتفهم، كيف العدم

يكون بلا الزمن - اذ لا زمن هناك يقيس لك السنين، ولا جدول

تقويم سنوي يحسب لك الايام، لا ساعة تعد لك الدقائق

والساعات، لا نهار هناك، ولا ليل، هناك الويل والعتمة والبرد

وسواهن لا يوجد.

يونوس: هي هذه حياتي التي كانت في الارض.

ملك الملائكة: من أجل ذلك دعوناك، من أجل أن يقطع هذا السبيل المؤدي الى

المصير الأصعب، إلا إذا أردت بغبائك أن تذهب برجليك. اصغ الي

جيدا: قد افضيت اليك رسالتي، وهنا انهي اليك كلمتي. اذكر

من اين اتيت والى اين ستذهب، اذكر طفولتك، كيف اخذت وسمعت

واصحو، اعرف ان لك قدرة يسيرة - الان بعد ما مر عليك من شقاء،

ولكنك حتما تستطيع بها التغيير، فقوة السماء في صفك، وبعد، ها قد

اتممت رسالتي اليك – سأتركك وحدك الان، حتى تتيقن من اختيارك،

ثم اعود بعد قليل فتعطيني جوابك الاخير، اما ان تقبل العودة الى حياتك

فتصلح أمرك وتنل جواز الدخول الى المدينة العظيمة، أو تجد نفسك في

مدينة الموت النائية.

يونوس: وكيف لي أن أصلح أمري، أي جواز هذا الذي يدخلني الى راحتي؟

(ملك الملائكة يخرج ثم فجر وشعاع)

أي مصيبة حلت علي، م اوجدت انا؟ أللشقاوة ولدتني امي؟ لم رضعت؟ لم

كبرت وشخت؟ أما اولى كان لو لم اكن؟ لو كنت سقطا مطمورا، من قبل ان

اكتمل جنينا فارى نورا وحياة؟ أما كان انعدامي أفضل من طعم المرارة - هذا

الذي يفيض الان في نفسي؟ أنا الذي بحثت عن بابك يا موت، لادخل منه الى

الراحة، فوجدت ذا الباب سريعا، واما الراحة فلم اجد، حفرت عليك يا موت

اكثر من الكنوز، ابتهجت لما وجدتك في القبر، ومن بعد فالى أين وصلت؟ قد

خفيت علي طريقي. والان، أسألك نفسي، اين انا؟ لست هنا انا، ولا هنا. بلا

اطمئنان، بلا سكينة، في هذا الوسط الفاتر. لما نزل علي هذا الغضب؟ اين

سأذهب من بعد؟ ولمن اذهب؟ أأعود؟ الى ماذا اعود؟ الى اين؟ الى من؟ والى

متى؟ يعظم الان أنيني، وكالمياه تنسكب زفرتي، إذ بعد كل هذا العناء

والضنك، أجد السدى، بعد كل هذا الانتظار الطويل.. بعد كل سني عمري،

اعي الان ما جاء علي!

(تظهر جنى دل)

جنى دل: أبي.

يونوس: جنى.

جنى دل: تبدو تعبا.

يونوس: جنى، كيف أتيت الى هنا؟ اوحدك؟

جنى دل: قد أتى بي ملاكي الحارس اليك.

يونوس: أنت حية أم ميتة؟

جنى دل: أنا بخير، أبي، لا زلت على قيد الحياة، فلتطمئن نفسك، قد أرسلت اليك في

حلم المنام حتى نلتقي، فتتيقن من صدق ما تمر به الان، هذا ما قاله لي الملاك في

حلمي.

يونوس: بنيتي!

جنى دل: حالة غريبة، اليس كذلك؟!

يونوس: حقا، قد مر وقت منذ التقينا اخر مرة.. ثلاث سنوات...

جنى دل: سبع.

يونوس: هذا صحيح، سبع. كيف يمر الوقت!

جنى دل: قد حالت الدنيا وأحوالها دون أن نلتقي، ومع ذلك فقد جمعتنا السماء الان

في هذا الحلم، حلمك، حلمي.

يونوس: ماذا أردت أن أقول؟

جنى دل: ماذا؟

يونوس: قد نسيت.

جنى دل: أنا هنا حتى تتذكر.

يونوس: نعم.

جنى دل: ما الذي يجري في رؤى منامك ابي؟

يونوس: لقد استدعاني ملك الملائكة الى هنا - في هذا الحلم الغريب - حتى يخبرني

باني لست اهلا لان احيا في السماء، ثم قال بأنه اعطيت لي فرصة التصحيح

والتصليح.. اتصدقي ذلك؟ اين سأذهب بعد كل هذه السنين؟ يقول لي باني

لست اهلا لان ادخل السماء...

جنى دل: هل تذكر اين نمت قبل ان يبدأ حلمك هذا؟

يونوس: كلا. كنت قد ظننت أني مت، كان شيئا غريبا.. رأيت جنازتي امامي.. ورأيت

الكثير من الناس الذين نعرفهم انا وانت.. يا للسخرية! ظننت اني احضرت الى

هنا لاحيا في راحة وسلام الابد.. ظننت اني وصلت اخيرا.. مهلا، تذكرت. لقد

سهرت وحدي الليلة..شربت بعض كؤوس الشراب.. خرجت من البيت في الليل،

لا اذكر اين ذهبت، ولا اعرف كيف عدت، نعم، جلست على الكنبة.. أجل..

المخدر.. فتحت التلفاز، دخلت الى الحمام.. نعم، هدأت.. وقفت

على الشرفة، نظرت الى النجوم، صرخت، او انني لم اقف على الشرفة، ربما

سقطت على الارض، نمت، أو أني فقدت وعيي.. حقا، انا في حلم المنام،

علي ان استيقظ. الان تذكرت، أردت أن أغيب عن وعيي.. لم اعد استطيع

التنفس.. ناديت، لكن صوتي لم يخرج ولم يصل، لم

يسمعني أحد.. نمت، أو أني فقدت الوعي. جنى.

جنى دل: ماذا؟

يونوس: ماذا أردت أن أقول؟ نسيت.

جنى دل: سأبقى حتى تتذكر.

يونوس: هل لي ان اقترب اليك؟

جنى دل: لم ارد يوما ان تكون بعيدا.

(يقترب قليلا ثم يتوقف)

يونوس: بنيتي.. أعلم جيدا كم أخفقت، أعلم جيدا كم من الايام مرت اذ كنت انت

بأمس الحاجة الي، ولم أكن انا معك.. انشغلت. لم أكن في البيت.. ولما كنت

في البيت، لم اكترث حتى اعدل غطاء السرير عليك، وأمسد جبينك وأنت

نائمة كالملاك. لم أكن في عيد ميلادك الثالث ولا الرابع ولا التاسع.. نسيت

متى ولدت.. انشغلت باشياء واشياء.. علمت أنك ابنتي لكني لم أكترث.. لم أكن

لك أبا وما كنت لي ابنه.. رميت كل ذكر لك وللبيت خلفي، وعلى قدر ما

أبعدت الذكرى عني، صارت علي أقرب. على قدر ما تناسيت، تذكرت.

جنى دل: قد تعلمت من جراء ذلك!

يونوس: لقد تذكرت ما أردت قوله.

جنى دل: ماذا؟

يونوس: سأقترب اليك بعد

(يقترب قليلا ثم يتوقف).

جنى دل: أهذه هي مدينة الفرح؟

يونوس: أورحوبو.

جنى دل: يا لها من لوحة عجيبة، أليس كذلك؟

يونوس: أنا تعب.

جنى دل: تكلم معي.

يونوس: فشلي ذريع.

جنى دل: قد كنت لي سبب نجاحي السديد.

يونوس: في كل ليلة، البس بنطالي النظيف، وقميصي المغسول، وأخرج صاح من

قبوي.. عارف الى اين انا ذاهب.. أشمشم كالكلب خلف متعتي القاتلة.. أجدها،

فأغرف قدر ما استطيع، تسكر حواسي، يسكر فكري، أنسى الكثير.. وأتذكر

الكثير.. أثمل الى النهاية، أقوم لأذهب واعود الى البيت، ولكن طريق العودة

يأخذ بمراوغتي.. يلتوي ويتمعج.. أصرخ في وجهه.. أمشي.. أبكي في

سري.. أبحث عن الاتجاهات، أترنح في الطرقات.. ويبتعد عني البيت اكثر،

أتعثر وأسقط على الارض.. تتلطخ ثيابي.. أحاول أن أقف، لا أجد شيئا أمسك

به فأقف، لا شيء أمسك به فأكف.. لا قوة في نفسي، لا قدرة على مقاومة هذا

الحال. قد أضعت كل شيء.. ماذا بعد.. البيت بعيد، لا عائلة، لا مال، لا

اصدقاء، لا حلم، لا يونوس، لا راحة، لا سماء.. بنيتي، اذهبي الى طريقك بسلام،

عل السماء تجمعنا في فرصة أخرى.

جنى دل: الن تعود؟!

يونوس: بل هنا سأبقى، لا معنى من العودة، هذا مكاني، سأنتظرك هنا حتى تأتي يوما ما،

سأبقى في هذا الحلم مهما يكن الثمن، سأبقى في هذه

السماء وان كانت هي وهم، عودي بنيتي واستيقظي.

جنى دل: أبي!

يونوس: لقد تذكرت ما أردت قوله.

جنى دل: دع عنك ذلك.

يونوس: تذكرت أني أريد أن أقول لك: كم أحببتك، وأني ما نسيتك يوما، جدي لك

رفيقا، حبيبا، أخا.. تزوجي، انجبي أطفالا، حققي

معهم مطامحهم، وتعلمي مني كيف لا تكوني مثلي، علميهم كما لم أعلمك،

أسمعيهم الحكايات كما لم أسمعك، إمنحيهم جل وقتك، وثرثري معهم كما لم

أفعل معك، إسمعيهم كما لم أسمعك، إفهميهم كما لم أفهمك، داعبيهم ولاطفيهم

كما لم أداعبك وألاطفك..

جنى دل: قد تعلمت منك الكثير.

يونوس: أمني تعلمت وانا الضعيف!

جنى دل: أنت وضعفك – كلاكما أبي، وأنا ابنتك، أفلا أحبك بعد؟

يونوس: بنيتي.

جنى دل: علاقتي البعيدة القريبة منك كانت مدرستي، وبمدرستي هذه تعلمت انا،

تعلمت أحرف الدنيا..

بها تعلمت اسماء الشوارع في المدينة.

تعلمت عن الشوق لما اشتقت اليك.

تعلمت كل صباح ومساء، عن الوحدة والصداقة..

تعلمت الذي لا ينسى،

تعلمت عن الخظأ والصواب،

تعلمت أن أقف على قدمي وأكمل المسير رغم كل الصعوبات،

كنت انت مدرستي، بالقليل كنت لي الكثير، وحلمي!

يونوس: أخبريني!

جنى دل: بعد أن نمت الليلة الفائتة، غصت في نوم هادئ وعميق.. ثم رأيت نفسي،

أنا وعناب نجلب الطحين.. وبدأنا نعجن حتى نهيأ طعام الغداء.. أوقدنا

حطبا، جهزنا العجين وشكلناه حتى يصبح رغيفا، ثم القيناه فوق النار..

بعدها وفي لحظة، تحول المشهد، واذا بي ارى نفسي، وعناب، وأمي ايضا،

نطير فوق الرغيف بين الغيوم، لم نكن خائفات، بل شعرنا بأمان، كان المشهد

رأئعا، ثم نظرت الى البعيد وإذا بي أراك، أو أني رأيت شخصا يشبهك، وكان

معك ملاكان ايضا.. فقلت للجميع، بأن علي أن أتبعك لأتأكد

من هويتك، لكن أمي صرخت بألا أذهب.. لم أسمع لها.. ثم تركت الجميع،

وقفزت من غيمة الى غيمة، وقبل أن أصل بقليل، وإذا بي أرى شخصا

يرافقني.. سألته: من أنت؟ فقال أنا ملاكك الحارس وقد أتيت لأرشدك الى

الطريق التي تلتقي بها مع ابيك، وها أنا هنا أمامك، وأنت أمامي.

يونوس: أمك بخير؟

جنى دل: كعادتها منهمكة، وكلمة صغيرة تكفي حتى تثور ثائرتها، لو علمت اني سألقاك

في هذا الحلم لأرسلت معي نعلا فأضربك به.

يونوس: أذكر مرة تشاجرنا حين عدت في الصباح ثملا الى البيت، وكنت قد وعدتها

بأن أعمل على الكف عن ذلك.. انت كنت صغيرة.. في سن الخامسة، ربما..

وما ان دخلت الى المطبخ ورأتني، حتى أخذت تصرخ وتصيح... أما أنا فصرت

أسخر من أنفها ومن أنها لا تعرف كيف تدير شؤون البيت. فما كان منها الا ان

حملت وعاء الطبيخ وسكبته على رأسي..

جنى دل: طبخة ساخنة!

يونوس: في حالة الغليان.

جنى دل: ويلي.

يونوس: جنى، لقد امتلأ جسمي بالحروق، وخلال ثلاثة ايام – كان الشعر قد زال عن

رأسي ويداي، بل وعن حاجبي ايضا، وتنتفت رموشي، وحق السماء، بدوت

أشعث كفيلسوف، او كالدجاجة لمدة شهر..

جنى دل: ماذا كان في وعاء الطبيخ؟

يونوس: يا لها من امرأة وقحة.. تبين لي في المستشفى انه كان ماء الكرش الساخن.

جنى دل: لقد بدأ التدخين الزائد يتعبها.

يونوس: أنا كذلك أيضا.

جنى دل: قد أحبتك كثيرا.

يونوس: كانت جميلة حقا. لما رأيتها أول مرة، فتنتني، كانت حلوة جدا –بماذا اشبهها

لك؟ كانت كهدية العيد، كأول الربيع. كانت تتصرف كالاطفال تارة،

وكالصبيان تارة، ومع ذلك فقد عرفت كيف تكون امرأة ناضجة.. كنت اتجمد

بلا حراك اذ اتأمل وجهها.. أصابعها.. باطن كفيها.. كم تعلقت نفسي بها،

كنت

يافعا، ابن واحد وعشرون سنة، وكانت هي ابنة ستة عشرة سنة، انثى رائعة

كانت، وكم كثروا أنذاك من يحظوا بحبها.. كان بيتها القديم في طرف

البلدة، وكان يحاذيه بعض أشجار الكينا. كل مساء وقبل أن يحل الليل، كنت

أذهب وأرقب.. أتلصص وأوصوص من بعيد، أصفر من هذه الجهة، أصفر

من تلك الجهة، ثم اقترب.. أرمي بعض الاغصان فوق غرفتها.. وسرعان ما

تخرج الي بعد ان ترتب لأهلها اسباب ما يدعوها للخروج.. نلتقي، هنا مرة

وهناك مرة، في الوعر تارة، في الزقاق تارة، عند ناصية الشارع، نهنأ بكلام

ووشوشات مع أصوات الليل، تلمس يدي، ألمس يدها.. تتنهد هي، يتدحرج

قلبي الى الارض.. تحمله الي، أعيد قلبي الى مكانه بين الضلوع، أتنهد، تنظر

الي.. انظر اليها.. يميل رأسها نحو كتفها.. تضحك عيناها وتلمع كنور

الصباح.. ثم أخيرا أغفى وأتبسم.

جنى دل: أسمع صوتا!

يونوس: ماذا يقول؟

جنى دل: انه يناديني، يقول لي: قد حان أن أعود.

يونوس: نعم. قد حان وقت ذهابك.

جنى دل: حقا، شيء ما يشد بي الى العودة!

يونوس: اذهبي بسلام بنيتي.

جنى دل: ألن تعود؟

يونوس: بل هنا أريد أن أبقى وأكون.

جنى دل: سأختفي الان.

(تختفي)

يونوس: صغيرتي، فلتحفظك السماء. ماذا الان؟ كيف السبيل الى بقائي هنا؟

كيف لي أن ألين قلب ملك الملائكة؟ صارم هو، لا يساوم.. فكيف السبيل الى

تغيير هذ الحكم؟ ربما أطلب أن أقابل ملك الكون – ألقاه فأتعرف به وأسرد له

أمري.. أجل.. قد ذكر عنه انه رحيم

ستكون فرصة لفحص ذلك. انها فكرة جيدة، سأطلب ان ألقاه ثم استرحمه

فيبقيني.. فلقد رأى يقينا ما مر علي، ولا شك أن قلبه سيرق لحالي

ويكون في صفي.. سأطلب من ملك الملائكة أن التقي بملك الكون.

(يدخل ملك الملائكة وفجر وشعاع)

ملك الملائكة: إذن، هل كان الوقت كافيا حتى تأخذ قرارك؟

يونوس: أجل، لقد اخترت.

ملك الملائكة: ماذا اخترت؟

يونوس: أود أن ألتقي بملك الكون.

ملك الملائكة: ماذا قلت؟

يونوس: قلت أني أود أن ألتقي بملك الكون.

ملك الملائكة: لست تعي انت ما تطلب.

يونوس: ما أعيه هو أني لا أريد العودة الى حياتي السابقة، ولست بعد أخشى شيء،

أفأخشى بعد من مصير أصعب؟ كلا، كنت أود لو أن أنال منك استجابة لطلبي

بأن أبقى هنا، فأنال بذلك رحمة أنا بأمس الحاجة اليها، الا أنك كنت صارما

بحكمك، وخيرتني

بين العودة الى حياتي، أو الهلاك في مدينة الموت النائية، وأنا لا اريد هذا ولا

ذاك، بل البقاء هنا ما اريد، حتى وان كان على اطراف الراحة في هذه

الساحة.

ملك الملائكة: أوتظن أن العلي القدير سيغير حكمي؟

يونوس: أود أن ألتقي بملك الكون، وأفضي أمري اليه وليكن ما يكن، حتما سيكون

بالتأكيد أحكم وأرحم منك!

ملك الملائكة: أرى جهلا عظيما فيك، ولكني أقدر اصحاب العزم القوي، ولهذا

سوف اجاري توقك هذا.

يونوس: قد استقر عزمي يقينا، أفستعطيني اذن ما طلبت؟

ملك الملائكة: سأعطيك ذلك، ولكن اعلم انك ستكون امام السيف القاطع، أمام النور

الساطع، كاشف الكلى والقلوب والعارف اعماق الاعماق، اعلم انك

ستدخل الى كاشف الخفايا الاعظم والعارف كل شيء، إذهب الى

خالقك يا هذا، واشهد ما سيكون، لن أعدك بشيء، فاللقاء بملك الكون لا

يمر دون مفاجأت، قد يكلمك العلي وقد لا يكلمك، إن كلمك، قد يقع

ما سيقوله لك عليك كالصاعقة، قد يقبلك، قد يرفضك، قد يرحمك،

وقد يحاكمك ويقسو عليك، فأنك ستقف أمام الحقيقة الطاهرة، ستشعر

برهبة لم تعهدها من قبل، ستمثل امام كرسي العدل، فاين سيجوز هذا

السيف في نفسك؟ ستعرف حينها، وهل ستكون الرحمة على الحكم

قديرة؟ لك ذلك، لكن اعلم ان بدخولك اليه ستدفع ثمنا هو

معرفة الحقيقة والتألم من معرفتها!

يونوس: ما عاد امامي ألم أقل قسوة من هذا، أدخلني الى العلي فأنتهي اليه بأمري.

ملك الملائكة: سيأخذك شعاع الان من هذا الباب، ستمشيان في رواق يوصل الى

البستان النجمي، سيتركك هناك عند أول الممر، سترى ضوئا هادئا

في أخر الرواق، سر وحدك نحوه، وعندما تصل اليه ستجد أدراجا

من سحاب، توصل الى علية مذهبة، إصعد الى فوق، إخشع ونادي

العلي، واشهد ما ترتب لك.

يونوس: هلم بي هيا أيا شعاع النور الى قلب النور، فأقابل مصيري الحق، فإما أهتدي

الى حياتي أو أضيع في موتي.

(شعاع يقود يونوس خارجا)

ملك الملائكة: هلم الي يا فجر.

فجر: سيدي.

ملك الملائكة: ما بالك أي هذا الملاك المضطرب؟

فجر: سيدي.

ملك الملائكة: ما بالك؟ لم تضللك الافكار وتربكك؟ لم تزيح ناظريك عن محبتي؟

انظر الي، انا هو سيدك الرائي اعماقك، انا حافظك وقدرتي

تحرسك، هل نسيت ذلك؟

فجر: كلا سيدي، لم انس.

ملك الملائكة: تشجع وثبت ناظريك على محبة السماء، افما ليكون هذا كفيلا بان يحفظ

قلبك ويمنع زوالك؟

فجر: اجل، سيدي الحبيب.

ملك الملائكة: ان كان جوابك بأجل، فما لي اراك مضطربا قلقا اذن، ان الخوف

شرك محكم، يطبق على الفريسة فيسحقها سريعا.. لا خوف في

المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج، لان الخوف له

عذاب، واما من خاف..!

فجر: فلم يتكمل في المحبة!

ملك الملائكة: اني ارى جيدا كم ان فقدان نبراس صعب الامور عليك.. اعلم انك

مرارا ما تستوحد بنفسك وتبكي.. قد احببت نبراس كثيرا وكنت تهنأ

بالعمل معه، اليس كذلك؟

فجر: اجل.

ملك الملائكة: محبة السماء اختارته ملاكا خادما، اما هو فلم يتحصن ولم يثق، بل

خاف وتزعزع، فآل به الامر الى الزوال.. اليس هذا ما حدث؟

فجر: هذا صحيح. حكم السماء لا يشق له غبار.. لقد حدث ما حدث باختيار

نبراس، وانا ارضى بذلك مع كل الالم الكامن.

ملك الملائكة: انهض اي هذا الملاك الطيب، عزز بالثقة نفسك، وشارك من حولك

بأفكارك الدفينة، لأن الوحشة كالسوس الذي ينخر في العظام فيفتتها،

لا تبقي أحمالك الثقيلة عليك، أنت تعلم ما أقول، هيا اذهب وتابع

عملك، أراك غدا حتى نتابع هذه المسألة.

فجر: سيدي.

ملك الملائكة: هيا اذهب بسلام.

(يخرج فجر)

أيا روح الحق أخبري عني، عمن أوكلت له شؤون الأحكام وامصار

الارحام - عن الذي علمه ملك الكون كيل المياه بالكف، وقياس

السموات بالشبر، وكيل تراب الارض، وووزن الجبال

بالقبان، والآكام بالميزان. أخبري أيا روح النار عن السر، واكشفي

بنورك عنه فيستبين، أخبري كيف أن الشعوب كنقطة من دلو،

وكغبار الميزان تحسب، كيف انها كلا شيء قدامه، من العدم

والباطل تحسب أمامه، وكيف أنه يرفع الجزائر كدقة، فبمن يشبه –

وهو الناظر وجه ملك الكون، واي شبه يعادل به. ألا عنه أخبري اذا،

عن القائم فوق الزمان، من قناه ملك الكون اول طريقه، من قبل اعماله،

منذ القدم، منذ الازل، منذ البدء، منذ اوائل الارض، اذ ابدء يوم

لم يكن غمر، اذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه، من قبل ان تقررت

الجبال، قبل التلال أبدء، اذ لم يكن قد صنع ملك الكون الارض بعد،

ولا البراري، ولا اول اعفار المسكونة، أخبري بحق النور، كيف

اني كنت هناك لما ثبت السموات، عندما رسم دائرة على وجه

الغمر، لما اثبت السحب من فوق، لما تشددت ينابيع الغمر، لما وضع

للبحر حده، فلا تتعدى المياه تخمه، لما رسم أسس الارض، أخبري

كيف كنت هناك عنده صانعا، وكنت كل يوم لذّته، فرحة دائمة قدامه،

فرحة في مسكونة ارضه، ولذّته مع ذاته، فالان، أسأل من جديد –

أن تناديهم الحكمة كما في كل حين، وأن يعطي الفهم اليهم الان

صوته علهم يلينون ويسمعون، عند رؤوس الشواهق، عند الطريق،

عند جانب الابواب، عند ثغر المدينة، ولتصرّح للناس وتنادي

بصوت الى بني البشر: إدفع روحك تبحث، إدفع روحك تبحث، إدفع

روحك تبحث. لأن من يبحث عن طريق الحياة يجدها، ويدخل الى

المدينة العظيمة، ومن يخطئ عنها يضر نفسه.

**الفصل الثالث**

**المشهد الاول**

(السماء - نجم الضحى يعالج عين شعاع.. رجلا شعاع في طشت ماء وهو يمسد رجلاه، ويغني موالا)

شعاع: (ينشد جنات ع مد النظر)

نجم الضحى: يا سلام، لمن هذا الموال.

شعاع: لوديع.

نجم الضحى: وديع؟. من هذا؟.

شعاع: انسان يدعى وديع الصافي، أخ.. بؤبؤ عيني. على مهلك، انك تؤلمني..

نجم الضحى: اهدأ قليلا حتى اعالج الامر..

شعاع: ألم تسمع بوديع الصافي؟

نجم الضحى: كلا، ماذا يعمل هذا؟

شعاع: انه مطرب لبناني الأصل، ولد في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني، عام

1921، في قرية نيحا الشوف، ترعرع في..

نجم الضحى: وديع.. الصافي، وديع، وديع.. لم اسمع بهذا الاسم من قبل، من هو

ملاكه الحارس؟

شعاع: كوكب.

نجم الضحى: كوكب؟

شعاع: أجل كوكب، وما الغريب في الامر؟

نجم الضحى: هل أنت متأكد؟

شعاع: متأكد، لماذا؟

نجم الضحى: كيف عرفت ذلك؟

شعاع: شعشعيان، شعشعيان أخبرني بذلك، اخبرني بكل هذه التفاصيل البارحة،

وعلمني هذا الموال في استراحة الصباح الملائكية، حين كنا نطير على مهل

في الساحة الخارجية، ولكن لم أنت مستغرب الى هذا الحد؟

نجم الضحى: ما أعلمه هو أن كوكب هو الملاك الحارس لأحد أمراء الخليج.

شعاع: هذا صحيح، ولكن ما قاله لي شعشعيان ان كوكب لم يعد يحتمل العمل في

تلك الأجواء.

نجم الضحى: تقصد في الخليج؟

شعاع: أجل في الخليج، ربما بسبب الحر والرطوبة.. فلذلك طلب كوكب من ملك

الملائكة ان يعطيه ان يغير بيئة عمله لبعض الوقت.. فهم شعشعيان بكل

بسالة وشهامة ملائكية، واقترح على ملك الملائكة ان يعطي كوكب فرصة

العمل مع وديع الصافي في لبنان كبديل..

نجم الضحى: حسنا.. وبعد، اكمل لي القصة.. ماذا حدث بعد ان صدحت بهذا الموال

في التدريب؟

شعاع: وهكذا.. ثم اندفقت بعدها بصورة مفاجأة اخذا خطوة الى الامام، وفي خضم

العزف والانشاد، اندفعت بعزف صادح على الطبقة العالية، وبنفس واحد

طويل، بأسلوب البلوز تارة والجاز تارة.. نفخت في البوق.. واما الملائكة

العازفين والمنشدين فنظروا الي باطراف عيونهم.. هكذا.. نظروا الي فيما هم

يكملون عزفهم وانشادهم.. كان واضحا ان الامر وقع عليهم كالصاعقة.. واما

انا، فخضت في العزف صاعدا ونازلا على السلم الموسيقي، وكم نوعت في

الانتقال بين الطبقات، والعرب.. حتى انني لما انتهيت، كانت دقيقة صمت

بينت كم كانوا متفاجئين من اسلوبي المتنوع والمختلف.. كانت ليلة تدريب

رائعة، انت كنت هناك.. رأيتك بين حضور المتفرجين.. نعم، يقينا رأيتك

هناك، اليس كذلك؟

نجم الضحى: اجل، قد كنت أنا من بداية التدريب.. ولكني ذهبت لما بدأت انت في

العزف.. كان علي الذهاب لانجاز بعض المهام.

شعاع: لقد خسرت. كانت لحظات.. لم يشهد مثلها قط على مستو التدريبات

الملائكية.

نجم الضحى: بالتأكيد، خسرت أنا رؤية حالة فوق طبيعية مثلك. لقد اخبروني بما

فعلت، بل واخبروني ايضا انك ساعدت عريف الحفل، واظهرت له

كيف يلقي كلمة الترحيب في اليوم الاخير الات قريبا.

شعاع: صحيح، كان من الضروري ان اساعده.. وقد القيت الكلمة بدله حتى يفهم،

هكذا، وقفت هكذا، والقيت:

ايها الحفل الكريم، يا مجمع السماء:

ها هي الساعة قد اتت الان، وهوذا ابتداء زمن الازمان وعصر الامجاد،

هذا الذي انتظرناه طويلا، شهلتمونا سهلا وشرفتمونا اهلا، فاهلا وسهلا بنا

جميعا في جبل القدس العظيم وفي بيت الازل. الليله، هي ليلة استقبالكم،

وليلة الافتتاح للحفل الكريم. سيفتتح كلمة الحفل، الملاك المخلص المحترم

جبرائيل، ومن بعده ميخائيل مندوب الملائكة، من ثم فقرة مقدسة تقدمها

جوقة السماء، من بعدها كلمة الاخ النبي الذي ارسل الى الارض، ثم فقرة

فرح نقي وطاهر، ونختتم في النهاية بكلمة ملك الكون الحي المحيي صاحب

الجلال. امين.

نلفت انتباهكم الى ان الاجهزة الالكترونية لن تعمل في هذا المكان وذلك

لبعدها عن الارض وعن قواعد الارسال.

ما رأيك؟

نجم الضحى: شعاع. انت متعدد المواهب – بطاقاتك الكامنة والممكنة - في الكلام،

في التحليل، في توجيه الاخرين، في العزف، أنت تفاجأ الجميع دائما.

شعاع: اليس كذلك؟

نجم الضحى: بلا شك – ولكن من الضروري بلورة هذه الطاقات وتوجيهها بالشكل

الصحيح.

شعاع: اتحير احيانا يا "نجوم" من جهة العزف، في اي الانسب لي من الالات..

البوق الصادح، ام القيثارة الناعمة، ام الطبل الكبير.. هل تفهمني.

نجم الضحى: أنا دائما أفهمك.. لأنك ملاك واضح في ما تقوله. اكمل لي..

شعاع: وهكذا.. أنا متحير.

نجم الضحى: لحظة.. هل تستطيع ان ترى الان افضل؟

شعاع: أأنت هذا الواقف هنا؟

نجم الضحى: لا زال هناك التواء خفيف في بؤبؤ عينك.. حسنا.. وماذا بعد؟ اين

كنا؟

شعاع: كنا نتكلم عن ليلة التدريب، عن اني متعدد المواهب، وعن اني متحير في

امر اي الالات انسب لي.. البوق الصادح، ام القيثاره الناعمة، ام الطبل

الكبير...

نجم الضحى: اجل.. انت متحير اذن في اي الالات انسب لك؟

شعاع: نعم، انا حيران.

نجم الضحى: الم تفكر بالمثلث مثلا؟

شعاع: اي مثلث، المثلث شكل هندسي.

نجم الضحى: أنا أتكلم عن مثلث النحاس الذي يضرب عليه بقضيب حديد صغير..

انها اداة بسيطة، ولكنها خاصة في نفس الوقت، وقد تناسبك كمبتدء،

وتناسب قدراتك في هذه المرحلة، وليس هناك من يعزفها في

الجوقة..

شعاع: المثلث؟

نجم الضحى: اجل.

شعاع: لا يروقني ذلك.. المثلث؟ هل أنت متأكد أن المثلث النحاسي هذا يصدر

نغمات موسيقية؟

نجم الضحى: طبعا.

شعاع: نعم، نعم.. اذكر اني رأيت منير يدقدق عليها ذات مرة، حين كان في مخزن

الالات.. لا، لا، اسمع: لا يعجبني العزف على هذه الالة.

نجم الضحى: لماذا؟

شعاع: انها بسيطة جدا.. قد قال منير انه بالكاد يسمع صوتها كل ربع ساعة.. ولا

أظن انها تنفع لان استرسل فيها بمقطوعة منفردة - اذا ما وجدت الفرصة

سانحة لذلك - في خضم العزف والانشاد الجماعي للجوقة.. أريد شيئا أكثر

تعقيدا، وأن يكون صعبا ويشكل لي تحديا.

نجم الضحى: انت اذا ملاك يحب التحديات.

شعاع: نعم، بكل يقين، أحب انا التحديات.

نجم الضحى: حسنا، وماذا عن الطقاشات؟

شعاع: الطقاشات؟

نجم الضحى: اهه.. هل تراني الان بصورة افضل؟

شعاع: ما هذا؟

نجم الضحى: ما بك؟

شعاع: اني لا ارى الان شيئا بالمره، يا الهي. ماذا حدث؟ اين انا؟

نجم الضحى: اهدأ.. دعني اعالج الامر حتى ترى افضل.. اين كنا؟

شعاع: اقترحت علي ان اعزف على الطقاشات؟

نجم الضحى: اجل.. انها الة ايقاعية ايضا.. وتستطيع ان تتميز في العزف عليها..

شعاع: لا اظن ان هذه فكرة جيدة.

نجم الضحى: لماذا؟

شعاع: لقد اراني منير طريقة عزفها، انها الة مملة بالنسبة لي.. ولا تحتاج الى جهد

كبير مني، استطيع ان اضع الطقاشات هذه في اصبعي الباهم اللذان في كفي

رجلي.. واصدر الايقاع المتناغم بسهولة دون اي جهد، وبذلك تكون يداي

خاليتان بلا فائدة، وكأني لم افعل شيئا.. لحظة.. لقد وجدتها.

نجم الضحى: ما هي الذي وجدتها؟

شعاع: الفكرة.. وجدت الفكرة، اضع الطقاشات في الابهامين اللذين في كفي رجلي..

واعزف على الكمان بيدي.. ما رأيك؟

نجم الضحى: فكرة ذكية حقا..

شعاع: اليس كذلك؟

نجم الضحى: حقا، وغريبة أيضا، لم يفكر فيها أحد من قبل.

شعاع: ان هذا يحدث معي دائما؟

نجم الضحى: ماذا تقصد؟

شعاع: تأتيني أفكار عجيبة، لو تم تنفيذها لأبهرت الجميع، بل ولأخشى أحيانا كثيرة

أن أكشف هذه الافكار للغالبية من زملائي الملائكة فيخطفونها ويسبقوني الى

فعلها.

نجم الضحى: اياك.

شعاع: ماذا؟

نجم الضحى: اياك ان تشارك احد غيري بهذه الافكار لئلا يسبقك الى تنفيذها،

شاركني أنا بأفكارك هذه يا شعاع، فلن تجد من يفهمك غيري وغير

ملك الملائكة.

شعاع: حقا، أنا أشعر كذلك، هل تعلم يا نجوم؟

نجم الضحى: ماذا؟

شعاع: أنا أعتقد أني ملاك ذو ذاكرة خارقة وذكي جدا، أعني، أنه من كل الملائكة

التي رأيتها من يوم صنعني ملك الكون- وقد رأيت منهم الكثير – لم أر من من

هو أذكى مني.

نجم الضحى: من جهة أنك تملك ذاكرة قوية فهذا لا يشق له غبار، أما من جهة

ذكائك، فإني أختلف معك في الرأي، على أية حال أين كنا من أمر

العزف؟

شعاع: توقفنا عند أمر العزف على الطقاشات بإبهامي كفي رجلي، والكمان في

يدي، وقد قلت أن الفكرة ذكية..

نجم الضحى: صحيح، ولكنها تحتاج الى تدريب مضن.. انصحك يا شعاع ان تبدأ

بالعزف على الة بسيطة في البداية، من ثم تتقدم حتى تصل الى

الالات المركبة..

شعاع: واذن؟

نجم الضحى: اعتقد انه لم يعد امامنا الا الة واحدة.

شعاع: ما هي؟

نجم الضحى: هي هذه الالة وحسب.

شعاع: قل لي ما هي؟

نجم الضحى: اليدان؟

شعاع: لست افهم.. اليدان ليست الة.

نجم الضحى: تستطيع ان تستخدمهما كالة فتخرج صوتا متناغما.

شعاع: كيف؟

نجم الضحى: هل تراني الان بصورة واضحة؟

شعاع: لا ارى شيئا.. يا الهي. اين انا؟

نجم الضحى: ازل المنديل عن وجهك.. لن ترى شيئا اذا كان هذا المنديل على

وجهك..

شعاع: هاك.

نجم الضحى: هل تراني الان؟

شعاع: يا الهي.

نجم الضحى: ماذا.

شعاع: يا للروعة..

نجم الضحى: هل تراني جيدا الان؟

شعاع: اجل.. وارى ان كل شيء في محله.

نجم الضحى: اين اقف انا الان؟

شعاع: هنا.

نجم الضحى: والان؟

شعاع: هنا

نجم الضحى: جيد.. لقد عاد بؤبؤ عينك الى وضعه الصحيح.

شعاع: ولكن لحظة..

نجم الضحى: ما بك؟

شعاع: صوتك.

نجم الضحى: ما به؟

شعاع: اسمعه يتذبذب كصدى ات من بعيد.. كانك تتكلم في انبوب طويل.

نجم الضحى: حسنا.. اعلم ما في الامر.. قد حدث هذا مع "نيران" ذات مرة.. دعني

اسوي هذا.. هل تسمعني جيدا الان..

شعاع: اهه.

نجم الضحى: هل تسمع صوتي يتذبذب الان كالصدى في انبوب حديد طويل؟

شعاع: كلا.. كل شيء على ما يرام الان.. هذا رائع.. اني ارى الان كل شيء

بوضوح.. واسمع كيوم صنعت.. اود ان ارى يونوس مرة ثانية وانا في هذا

الحال.. لم استطع رؤيته والتعرف عليه كما يجب.. انا على ما يرام، يا له من

شعور رائع، بعد قليل سأراك يا يونوس..

نجم الضحى: هذا افضل الان.

شعاع: يا لكم نحتاج نحن الملائكة الى العينين، هل اخبرتك كيف اني اصطدمت في

عامود الرخام الذي في صالة الاستقبال.

نجم الضحى: اخبرتني انك اصطدمت به لكنك لم تخبرني كيف كان ذلك! مع العلم بان

عامود الرخام هذا قابع في اقصى الزاوية، غريب كيف انك اصطدمت به.

شعاع: كان هذا غريبا بالنسبة لي ايضا، لقد حاولت ان اتجنبه، طرت

ببطء حتى احافظ على مسافة بعيدة عنه قدر ما استطيع، ولكني كلما حاولت

ان ابتعد، وجدت نفسي اقرب واقرب للاصطدام به، لقد تبلبلت حواسي، لم

اعد اعرف شمالي من يميني، وفقدت الاتجاهات وتقدير المسافات، وفي

النهاية اصطدمت به وخبطت رأسي وانفي.. ثم سقطت على الارض

متسحسلا. اما الان، فأنا ارى كل شيء واضح.. اشعر ان هذا سيساعدني

اكثر على التركيز والفهم، وايضا على العزف في ليلة الغد.

نجم الضحى: اجل.. العزف، اين كنا من امر الالات.

شعاع: كنت تقول باني استطيع ان استخدم يداي كالة، فتخرج صوتا متناغما.

نجم الضحى: حقا كذلك.

شعاع: سألتك كيف؟

نجم الضحى: التصفيق.

شعاع: ماذا؟

نجم الضحى: التصفيق.. لا تستغرب. ان التصفيق يبدو كأنه شيء سخيف. ولكنه قد

يكون رائعا..

شعاع: لا اريد.

نجم الضحى: تريث.. اسمعني حتى النهاية.

شعاع: لا اريد.

نجم الضحى: اسمع يا حبيبي.. ان هذا لمصلحتك.. صدقني.

شعاع: حسنا، اكمل.

نجم الضحى: خذ مثلا موسيقى الفلامنكو.

شعاع: واذن.

نجم الضحى: هل سمعت موسيقى الفلامنكو مرة؟

شعاع: كلا!

نجم الضحى: حسنا، انها موسيقى تعتمد جدا على الايقاع،

وعلى فكرة التصفيق المرافق لمعزوفة القيثار والغناء.. هكذا.. اسمع..

ما رأيك الان؟

شعاع: دعني من هذا.. لا اريد التصفيق.

نجم الضحى: جرب ذلك بنفسك.. هيا.

شعاع: (يصفق بصورة غير متفقة)

نجم الضحى: تصفيقك هذا اقرب الى اسلوب "صف السحجة".

شعاع: نعم صف السحجة، قد رأيت عرسا قديما وقد استخدم فيه هذا النوع من

التصفيق.

نجم الضحى: حسنا، هذا مميز ايضا.. تابع ودرب نفسك على التصفيق.. ان هذا

سيسهل عليك استمرارك في الجوقة..

شعاع: اعتقد اني افضل البوق الصادح، او القيثارة الناعمة، او على الاقل الطبل

الكبير..

نجم الضحى: تريث.. رويدا، رويدا ستصل الى العزف على هذه الالات ايضا،

ولكن ابدأ اولا بأمر التصفيق.. وتدرب على ضبط الايقاع المتتابع

والمنظوم.. فان كل عازف، او منشد، يجب ان يحسن التصفيق، لانه

الايقاع الحافظ انتظام الموسيقى والانشاد، هل تفهم ما اقول؟

شعاع: حسنا.

نجم الضحى: جيد.. لقد انهينا الامر، انت معافى الان، وترى كيوم صنعت. علي ان

اذهب انا الان.. سوف اتهيأ من جديد واحلق طائرا الى الشمال لكي

اعين "شاعل" و "شعلان" و "منير" في حمل الصلوات الكثيرة من

تلك المنطقة.. ثم اعود الى سيدنا الحبيب والبي ما تبقى من مهمات.

شعاع: حسنا.. فليرافقك اسم الاله العظيم ووليحفظك من الزلل. ها لك قبلة

المحبة والوفاء، نلتقي غدا في تمرين الجوقة في قاعة الانشاد.

نجم الضحى: وها قبلتي أنا ايضا، نلتقي غدا، تابع التصفيق.. وتذكر موسيقى

الفلامنكو وانت تفعل ذلك، والسحجة ايضا.

(يخرجان)

**المشهد الثاني**

(علية سحابية)

يونوس: يا ملك الكون.

(لا اجابة)

يونوس: ايها الملك.

(لا اجابة)

يونوس: اجبني، اين انت؟

(لا اجابة، ينتظر وينتظر، يستاء، يرتبك، ينظر الى المكان الذي اتى منه، يهم بالخروج، وفجأة يسمع صوت ملك الكون يتردد من عدة اماكن في القاعة – من الجمهور، من على المسرح...)

ملك الكون: هنا. وهنا أيضا. وهنا – على باب قلبك. في كل مكان. في كل زمان.

اسألك ايها الحاضر عندي هنا: من انت يناديني؟

يونوس: أنا يونوس.

ملك الكون: يونوس. عرفتك يونوس، عرفت الشيام أبوك، ومن سماك. طابيثا أمك،

أرى الان يوم مولدك أمامي - أنظر اليك، هل ترى؟ - أراك تفلت يدي

وتخرج من رحم أمك، تبكي، تضعك أمك على صدرها، تهدأ، تذوق الحليب

لأول مرة – أرى محاولتك الاولى للوقوف، أول خطوة، ها أبوك يلاعبك –

أرى الان ايامك الاول بين الزروع، أراك تركض - أرى بيتك الاول

القديم، أرى الدرج، أراك تبحث، تفحص، تستكشف التفاصيل في الوجود،

أراك تعد الدرجات، تمشي على الجسر المعلق، على السطح، على الحافة،

كدت تسقط يومها، خاطرت – أراك تعمل مع ابوك، تنهي العمل، تذهب الى

البيت، تغتسل، تلبس ملابسك الانيقة،

تمسد شعرك بالصابون، تذهب الى ابراهيم، تخرجان معا الى البلدة، ينضم

اليكما أخرون، تجمعون ما تملكون من نقود، تشترون علبة سجائر - كلكم

الان تدخنون، سرا، لا أحد يراكم، لا أحد يعلم، الليل حل الان - حول النار

تسهرون، تتحدثون، تروون القصص - أراك

الان تمزح، الكل يضحك، يفرحون من كلامك المرح، أنتم مستدفئين - ها

أنت توشوش ابراهيم – تذهب الى ذاك البيت في طرف البلدة، نحو أشجار

الكينا.. ارى المدينة، اراك في الزحام، أرى الشاطئ، السائحين، ارى

زواجك، أرى أيامك في السجن، قد كلمتني هناك مرتين، هل تذكر؟ ابنتك،

ارى الان امامي يوم موتك. اني أرى الخوف في اعماقك، وخوفك عنك

يشهد، أرى كذبا وخداعا، وكيف لا؟ انت، اي هذا المترنح، السكير، النابذ

نعمي ما لي اراك هنا؟ أيا عابد المال السهل، يا من كسرت احلام بيتك

على الصخر.. قد قدست

أنا الحب.. وماذا فعلت أنت به؟ – اقول: - ضيعته على أرصفة الشوارع،

وعلى طاولات المقاهي.. طيرته مع دخان المصانع.. ايها الكسول، يا هذا

اللاهي بحياتك كلاعب الورق، يا من اخترت طريق المتع القصير، هذا

الذي انهك عظامك وفتت نفسك، فأل بك الى ما أنت عليه الان، ايها الساقط

تحت قدمي طبيعتك، المستسلم لفشلك.. قد اخذت مني حياة، وما ارى الا انك

جنيت منها موتك. الان قضائي معك، الان أنزل عليك فترى وجه الحقيقة

فلا تكون بعد. الان أجيز في نفسك سيفا، واقطف زهرتك اليافعة من قدامك.

الأن أمحو أحبابك وأزيل البسمة المتبقية في حياتك، أفنيك بلمحة، وأجعل

العقاب على بيتك وابنتك، الان اقبض عليك بيدي الغضبى، وأسجنك في

الكرب العتيد، وأبيد كل ما لك، ولكن من أجل عدلي سأعطيك اولا من أزلي

دقائاق معدودات لتتكلم، هيا تكلم، فأعلم سبب مجيئك الي - يقول ملك

الكون.

يونوس: مهلا، ماذا سأقول بعد؟ يكاد يغمى علي.

ملك الكون: تكلم، لا تخف، اعطيك مني الامان، ما لك ههنا أي هذا الانسان، اخبرني

ماذا تريد؟

يونوس: أن اتكلم وإياك.

ملك الكون: انطق.

يونوس: هل لي ان أطلب منك طلبا قبلا؟

ملك الكون: ماذا لك عندي لتطلب فأعطيك؟

يونوس: سيدي.

ملك الكون: تكلم.

يونوس: سيدي العلي، أسألك ألا تؤذ ابنتي، وإن شئت ثمنا لذلك فخذني

سدادا بديلا، فيخمد غضبك.

ملك الكون: أي هذا الجاهل، أما هي ابنتي، التي شكلتها بيدي في الرحم؟ أفتدافع أنت

عنها مني؟ أما هو بيتي، ما أعطيتك ومن عملت على حفظه أنا، وحطمته

أنت؟ من ثم أفترى قلبك أرحم من قلبي؟ّ

يونوس: ماذا أقول؟ حقا انت الارحم - ورحمتك هي ما ابتغي بعد.

ملك الكون: لم أتيت الى هنا، تكلم، لم يعد من وقتك المخصص بعد الكثير.

يونوس: وددت أن التقي بك فنتكلم؟

ملك الكون: لا يجوز ان القاك، لا تقدر أن تراني في حالك هذا وتعيش، لكن روحي

قريبة منك، تكلم فأسمعك.

يونوس: اتيت أطلب منك ان تجيز لي أن ابقى هنا في السماء، وألا أعود من هذا

المكان الى حياة الارض.

ملك الكون: ألم يعلمك ملاك الملائكة بأن هذا غير جائز؟

يونوس: قد أعلمت.

ملك الكون: ألم يعلمك أنك في حلم المنام، وأنك ستصحو عما قريب؟

يونوس: قد أعلمت.

ملك الكون: وإذن، ألا تريد أن تصحو؟

يونوس: بل أن أبقى هنا، أطلب إليك، لا راحة لي في الارض، ابقني في المنام هذا،

وأدخلني الى أورحوبو.

ملك الكون: كيف لي أن أعطيك ذلك وأنت لست أهلا لذلك؟

يونوس: رحمتك، هذه التي توجد فيك أكثر مني. أولست قاضيا رحيما انت، الكل في

الارض يقول عنك ذلك.

ملك الكون: صدقت، رحمتي كثيرة، وفي ظل جناحيها يحتمي بنو البشر. رحمتي

عظيمة حتى السماوات - والى الغمام حقي، أفضل من الحياة هي، وصالحة

جدا، رحمتي طيبة، وقد ملأت الأرض - أقول - رحمتي على حكمي تفتخر،

رحمتي هي من اسمائي الأولى، منذ مبادئ الدهر - هي من شيمي الأبدية –

حقا - رحمتي كثيرة وجودي عظيم... لولاها لكنت قد فنيت منذ زمن، لولاها

لزالت الناس والاجناس، وباد كل ذي حياة في نفسه، بها ثبت اساسات

الأرض أنا، ولولاها لانعدم الوجود، لولاها لتزعزع كل شيء، وما كان

شيء مما هو كائن الان، رحمتي هي من دعتك وجلبتك الي، حفظتك على

مر الايام، هي من اعطتك نسمة حياة في نفسك، من اعطتك عقلا، ويدان،

ورجلان، وقلبا، من اعطتك عمرا، وايام حياة تعمل وتفعل فيها حسبما

تشاء، ووفق ما اخترت، رحمتي هي من رافقتك في الطفولة، وعطفت عليك

وصانتك من السيول، والامطار، والانهار، والرياح، وباقي الاخطار التي

كادت ان تأتي بك الى الهلاك. هي رحمتي التي صنعتك وعجنتك واعطتك

اسما وشكلا، وعرفت الندوب والشقوق والتجاعيد في جسمك.. هي من

جعلتك لي انسانا ابنا، وبها كنت لك انا الها ابا، رحمتي لا زالت تحفظك الى

الان، وهي من اختارت ان تعطيك فرصة العودة حتى تنال الدخول الى

اورحوبو، هي التي بها أكلمك الأن، هي رحمتي ما يحول دون ان ابيدك

الان الى الابد، هي رحمتي ما تقول لك: يكفيك الى هنا يا صغيري. عد الى

حياة الارض، وتمم فرحك فتنل رحمتي عن استحقاق – يقول ملك الكون-

عد كما أشار عليك ملك الملائكة.

يونوس: أفبرحمتك هذه تعيدني ايضا الى ألمي؟ الى ما لا أطيق، أإلى كربي تعيدني

برحمتك؟ الى حياة لا اعرف كيف احياها.. أأقبل رحمة أجعل من جرائها

تعيسا من جديد.. يائسا.. أأعود الى ملل لا يحتمل، الى ساعات يابسة، بطيئة

كالموت، خاوية بلا قيمة.

ملك الكون: هذا جنى يديك أنت فيما اخترت في حياتك يا هذا، ليس هذا ما أردته أنا

لك، قد حصدت أنت ما زرعت.

.يونوس: ماذا زرعت أنا، ماذا حصدت؟ ليتني أدري.

ملك الكون: جحود ونسيان.

يونوس: ماذا جحدت؟ ماذا نسيت؟

ملك الكون: قلبك، وبيتك، والحليب، قطرات المطر الاول، الشمس, حلم البيت في

البيت, الأفق, الفرح وهدو البال، أخوك، ابنتك، أنا ونفسك، انك انسان

وانك الى حين.

يونوس: هذا كثير.

ملك الكون: قد اعطيتك أنا خيرات كثيرة، نلتها أنت مني دون أن تطلب، ولم اسأل

منك ثمنا – وأما أنت فما حتى شكرت –

يونوس: لم أعرف أنك حقيقة، ومن أنت كنت - لم أعرف - أين كنت.

ملك الكون: حقا، أطبق عليك الجهل بفكيه فغيبت عنك المعرفة.

يونوس: ماذا كان بوسعي أن أفعل؟

ملك الكون: كان حرى بك ان تسأل الاولاد في الزقاق فيرشدونك الى الطريق.

يونوس: الاولاد.

ملك الكون: كانوا علموك أن تبحث.

يونوس: أن أبحث. أين كان لي أن أبحث؟ وأنت في أي مخبأ كنت حتى أجدك؟ أتحت

الشجرة؟ أم عند الشاطئ؟ أفي المباني الدينية؟ أم في الفلسفات وترهات

الاحاديث عنك في المقاهي، والسهرات وزوايا الشارع؟ لما كبرت أنا أين

ذهبت أنت؟ لم أعد أجدك كما اعتدت في الاعراس ظاهرا، وفي المأاتم

اختفيت، لم أعد أنتبه اليك في النار كما اعتدت ولا في الماء.. لم أعد اشعرك

بعد في الريح ومع النسائم، ولم اجدك في التراب لما نزلت الى موتي، فأين

لزم بعد أن أبحث؟

ملك الكون: في قلبك المقلوع من مغرسه، في ما تبقى رطبا من نفسك المتيبسة، يا لكم

تغيرت أنت لما كبرت، يا لكيف تشبكت في مصائد الافكار! ماذا كنت، ماذا

صرت؟

يونوس: لست أذكر شيئا بعد من التفاصيل، قد اختلطت الاموررفي رأسي.

ملك الكون: أنت!

يونوس: أنا..؟!

ملك الكون: أما عدت أنت تعرف من أنت!

يونوس: أنا لست أعرف بعد شيئا. أنا من؟ أنا ماذا؟ أنا كصدف الشاطئ بلا المحارة في

الجوف، قد أكلت نفسي، خويت الى التمام، فأرست خطوب الدنيا في قلبي

مراسيها ولم أشعر – قد ثقلت علي أحمالي وما عاد في وسعي احتمال.

ملك الكون: كنت لاخذ عنك احمالك لو التفت يمنة او يسارا، لو رفعت عن الارض

رأسك، لكنت رأيت من رافقك في الطريق.

يونوس: وحدي مشيت في دنيا الطريق.

ملك الكون: أما كان معك أحد؟

يونوس: وحدي مشيت.

ملك الكون: أما كنت أنا العلي معك؟

يونوس: وحدي، وأنت البعيد كنت؟ قد ناديتك مرة ولم أسمع منك ردا. فقدت صوابي.

كنت بحاجة اليك مرة، ولم أجدك. انخدعت. قرعت على بابك مرة، ولم يفتح

لي أحد. تركت البيت، امتطيت دابة جهلي وطفت في الارض وفي ارجائها،

فأمضيت في منافي التيه اوقاتي حتى شاخ بي العمر، وشريدا كنت عن نفسي

زمنا طويلا، عبرت في الدنيا سهولها ووديانها والتلال، بلا دليل، وحدي يقينا

سرت، ولم احسن معرفة الطريق.

ملك الكون: لم تشر انت الى حقيقة ما كان. قد ظلمت قضائي بكلام بلا معرفة –

اقول: كل حين كنت انا معك ولم تع. منذ البدء – أقول - كنت معك، بنور

الصباح أشرقت عليك كل يوم، تتبعت شهيقك وزفيرك، لم أعيا ولم أكف،

لما نمت انت، انا على مصيرك سهرت، وكل حين، كنت صديقك الممكن،

وانت انت، من في الارض ذهب وحيدا، فجنيت من بعد الجهد ريحا وغبار،

أعمى عينيك عن رؤية النور. قد كنت من اجلك كل حين، أذكر لما ناجيتني

من على الصخرة عند شاطئ البحر، كنت هناك انا.. وأنت لم تعلم، داعبت

ناظريك في الموجة الاخيرة قبل ان تعود الى البيت.. وانت لم تعلم، لاطفت

وجهك عند المساء بنسمة خفيفة دافئة.. وانت لم تشعر، ضحكت معك لما

غضبت اذ امتلأ حذائك بحبيبات رمل الشاطئ، وقبل ان اجلي شمسي

الصغيرة بعيدا عنك، قبلت عينيك بشفتي الشفق الاحمر إن تذكر، من قبل ان

صورتك في رحم امك، كنت قد عرفتك.. لم تغب من امامي برهة، أفلا يبين

لك هذا مقدارك الحق عندي؟

يونوس: ان كنت عندك بهذا المقدار من الاهمية، أفلا تتمم احسان محبتك معي؟

ملك الكون: كيف لا.

يونوس: أفسأبقى إذن؟

ملك الكون: بل تعود – يقول ملك الكون– لأني كما قصدت يصير وكما نويت

يثبت.

يونوس: ما الحكمة؟. أرني حكمتك. ارني اياك، هلم، مر بلمح البصر فأرى وجهك،

أطلب اليك، أرني وجهك فأفنى، ارى وجه الحقيقة فأبيد، ماذا أفعل لك فترضى،

أفإن استغفرتك، شكرتك، أفأبقى؟ حسنا ها انا استغفرك.. استمحيك عذرا.. ها

انا اسلخ قلبي من قلب ضلوعي واضعه في كفيك.. محص وافحص اعماقي،

وباطلي واشباه الباطل والاشباح في باطني.. كلت يداي.. قد اعياني التفكير

وهزمتني الدقائق في ساعة الحائط فوق التلفاز.. استمحيك عذرا, بل

ولأشكرك, اجل ها أنا أشكرك الأن: شكرا على الفرح القابع وراء الافق،

والذي لم أذقه حقا كما يجب, شكرا على الامل المتخفي في زوايا الفجر،

والذي مرارا لم اجده فيما كنت بأمس الحاجة اليه, شكرا على الوعود البعيدة,

والتي كانت اتية على الطريق من خلف الزمن، وتهت انا بعيدا عنها. شكرا

على الاوجاع التي شاهدتني اعانيها. شكرا وشكرا, ولك جزيل الشكر.. على

الوحدة وعلى حنيني.. وعلى الانفصال والتخبط والانكسار, وعلى السقوط..

والعودة الى الوقوف والانتصار.. من ثم السقوط بقوة ثانية.. والعودة الى ما

يشبه الوقوف من جديد.. شكرا على طبعي الحساس، وشكرا على احلامي

التي لم اخترها بنفس القدر الذي اخترتها، ومن ثم من بعد كل السعي لم

احققها, شكرا على قلة وعيي, وعلى اني انا المسؤول وانت البريء من

اختياراتي السيئة, شكرا على اني تغيرت كثيرا وجدا, وتحولت الى وحش

بري, وانت بقيت كما انت, شكرا على البداية وعلى النهاية, وعلى كل ما قلت

وفعلت, وعلى كل ما سيفعل جلالك من بعد.. صغير انا امامك.. أطأطأ راسي

في الارض قبالة قدمي، واخجل ان انظر في عينيك، لئلا يبكي كثيرا ما تبقى

مني.. ابقني هنا تحت جناحيك.. أو ان شئت انصبني عند عتبة بابك.. لا اريد

ان اعود الى يأسي الشرس، والى ساعة الحائط تلك.. ابقني هنا عندك ولا

تطرحني الى الارض من جديد بعيدا عن راحتي الصغيرة.

ملك الكون: بني.

يونوس: ماذا حصلت أنا من كل هذا؟

ملك الكون: حقا – ماذا حصلت من كل هذا.

يونوس: أين الحكمة؟

ملك الكون: فوق فهمك.

يونوس: بل فوق ظهري، ثقيلة هي هذه الحكمة ولا يسعني بعد أن احتملها.

ملك الكون: أيها الغبي. قد جمدت أنت فهمك ويبست وعيك، فصرت ترى انت ما

ترى – يا ليتك تبصر.

يونوس: أبصر؟ ماذا أبصر؟

ملك الكون: محبتي.

يونوس: كيف ذلك؟ أأبصرها فيما سهامك منتشبة فيّ؟ كيف، وآلامي طامية فوق

راسي؟ لا انكر كم تصرفت بحماقة - قد انتنت - قاحت حبري وامتلأت

احتراقا .وها امامك كل تأوّهي، وتنهدي ليس بمستور عنك، ومن بعد ليس

في فمي حجة أدافع بها عن نفسي أمامك، ها أنا اخبر أمامك وأقر بضعفي

واغتم من ما صنعت من أخطاء، فاصفح.

ملك الكون: اصفح.

يونوس: أكرم شيبتي.

ملك الكون: بل أكرم هيبتي.

يونوس: لا تستذنبني بعد، يكفيني الى هنا، فمن أنا قدامك؟ وانت من يداك كوّنتاني

وصنعتاني كلي جميعا. أما كانت كافية ايامي القليلة الكثيرة في الأرض؟

اترك. كف عني فاتبلج قليلا، فأكون هنا ولا اعود الى ارض دجية.

ملك الكون: ما فنون الكلام هذه؟ أخبرني يا من جبلتك كالطين. انت يا من صببتك

كاللبن وخثّرتك كالجبن، يا من كسوتك جلدا ولحما فنسجتك بعظام

وعصب، منحتك حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحي، اتشترى الصفح

والرحمة بالكلمات.

يونوس: لا.

ملك الكون: الى هنا. لقد أخذت وقتا أكثر من المخصص لك، هيا عد، فان لي أشغال

واعمال كثيرة يحسن بي ان اعالج امرها.

يونوس: مهلا، دعني افهم، لم أوجدتني في ذا الوجود وأوجدت وجوه الوجود حولي؟

ملك الكون: عد.

يونوس: أللهوان؟ أحسن عندك أن تظلم؟ ان ترذل عمل يديك؟ ألتبحث عني وتفتش

على اخطائي، ماذا أفعل فأنقذ من يدك؟

ملك الكون: تمم ما أشاره عليك ملك الملائكة.

يونوس: لم أودعت كل هذا الالم والاسى في؟ ماذا انتفعت من ذلك؟ مني؟ من البشر؟

من الارض؟ من الدنيا وحالها السائر في سبل السوئة؟ – من كل هذا، ماذا

أنت جنيت؟

ملك الكون: قصتي مع الكون طويلة ولا يسع عقلك ادراكها – أقول - ولا لحلمك أن

يحويها.

يونوس: أخبرني قليلا فقط.

ملك الكون: ان تزيد علما تزيد حزنا، عد.

يونوس: لا تعدني، قد اكتفيت.. ابقني هنا.

ملك الكون: استعن بالامل تنل.

يونوس: لا قوة.

ملك الكون: انا الكائن موجود.

يونوس: الان تيقنت.

ملك الكون: أنا القوة.

يونوس: حقا – تعبت، أود لو أنام.

ملك الكون: انا اريحك.

يونوس: ابقني هنا اذن.

ملك الكون: لا يجوز. عد الان واستعن بالصبر، ثمة القليل بعد.

يونوس: وحيد، من جديد.

(يستلقي على الارض)

ملك الكون: قم.

يونوس: لا أريد.

ملك الكون: لا يجوز ان ابقيك هنا..

يونوس: وحيد.

ملك الكون: انا معك.. قم وعد.

يونوس: سأبقى هنا وافعل بي ما شئت، او دعني اراك فأفنى. أبقني في هذا المنام – في

هذا المكان، وحيدا كما من قبل. أنا هنا الان، لا أريد أن أعود.

(يونوس ينام على الارض ويذهب في غيبوبة، موسيقى، يدخل طفل صغير ويقترب من يونوس المستلقي ويلاطفه برفق)

الطفل: قد كونتك بيدي هاتين، وأخذت وقتا في فعل ذلك.. قبلما صورتك في البطن

عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم جعلتك ما جعلتك.. لما كونتك أحببتك..

تأملت وجهك للحظة، ثم تابعت، كونت عينيك اللامعتين الواسعتين، ذقنك

المدبب، شفتك السفلى الابرز قليلا من العليا، ثم نظرت اليك من جديد..

شعرك الاسود، لونك الاسمر، قامتك المتوسطة، كل شيئ صنعته فيك

بعناية، حتى تفاصيلك الصغيرة. مشيت معك خطواتك الاولى اول طريقك،

لعبت معك في طفولتك، تأكدت كل ليلة انك غاف، واهتممت بأحلامك

العذبة.. قم بني، وتشدد: قد حلفت باسمي اني معك.. لن اتركك او اهملك..

تشدد وتيقن من الحب الذي اكنه لك، واعلم ان لا شيء في الكون يفلت عن

معرفتي.. عيني على صغريات الزهور التي تنحني بصقيع الليل، ثم تقف

على سيقانها عندما تكللها اشعة الشمس، وعلى اوراق الشجر في الخريف،

ونظرات الناس الهادئة، وكلامهم النادر الرقيق، وعلى العاصفة ، والحمام

الذي يطير باجنحة ثابتة الى العش الحبيب، والعاشقين اللذين يذوبان وجدا

وهياما، والكلب الجائع الذي يلتهم الطعام ولا يجد الا في افتراسه، وسريعي

الغضب الذين يتضاربون بالايدي والصدور والاقدام وقد غمرهم طين

المستنقع، والقارب الذي ينطلق فوق سطح الماء بسرعة فائقة، والضفادع

التي تختفي من الافعى وتغطس الى قاع المستنقع، وشهب النار التي تسقط

على الرمل، سقوط الثلج في جو دون رياح، والحائك العجوز الذي يحملق

في سم الخياط، وبناة السفن الذين يعكفون على عملهم في مصنع سفن المينا،

والطهاة وهم يطهون اللحم في القدور، وسائق التاكسي العامل ليلا ليكسب

قوته، وليشتري لابنه لوازم المدرسة للفصل الجديد، والزانية الباحثة عن

فرح لا يمسك كالسراب، والزارع الذي يستريح على سفح التل ويرقب

الحباحب في اسفل الوادي، والراعي الذي يتولاه الياس لسقوط البرد، والفتى

الذي يهرول في تسريح الجياد وسيده في انتظاره، والام التي تهرب امام

النيران وتاخذ وليدها بين ذراعيها وهي شبه عارية، والعظاية التي تنتقل من

عوسج لاخر زمن الصيف، والسائر فوق الصخور الوعرة، ومرضى

الاستقساء، والملاريا، والبرص، والراقصين، والمصارعين، والمبارزين.

والصحراء والغابة، والجدول والنهر والبحر، ومطلع الشمس وغروبها،

والنجوم، والحيوان والنبات، وصور البكاء والعويل وضربات الاكف

والتنهد، والبسمات والضحكات، والترنم بالاغاني. والاجساد وسعيها الدائم،

والصانعين الحرب، والجشعين والشرهين، والامهات، والاباء، ورواد

الكذب، والسرقة، والبخل، والاسراف، والحقد، والانانية، والغضب،

والنفاق، والغدر، والحب، والصفح، والتوبة، والتطهر، والصفاء، والامل،

وخلاص النفس، والسلام.

(يستيقظ يونوس)

يونوس: يا الهي. أين أنا؟

(يختفي الطفل)

ملك الكون: هنا، في قلبي.

يونوس: هل غفوت أنا؟

ملك الكون: ليس طويلا.

يونوس: كأني حلمت، كأني حملت، ماذا جرى، أهي سكرة الموت؟

ملك الكون: بل لمسة الحياة، قد أخذت من قلبك اسقامه وحملت اوجاعه، فهل أعيدها

إليك؟

يونوس: كلا، فلتبق بعيدا عني، فأبقى على هذا الحال.

ملك الكون: لقد ابدلت حزنك بالفرح، وضعفك بالقوة، نزعت قلب الحجر من لحمك،

واعطيتك قلب لحم – قويا كقلب الاسد - وجعلت في داخلك روحا جديدا.

يونوس: يا لهذه الخفة.

ملك الكون: وقتنا المخصص انتهى، قد اقتربت الشمس من وجه الصباح، وانت على

وشك أن تستيقظ من رؤى منامك.

يونوس: سأستيقظ!

ملك الكون: الى الحياة.

يونوس: الحياة، يا لها من كلمة.

ملك الكون: إن الذي يحب، لا يسعه الا ان يعطي من كنز محبته المتلألأ، أنا أعطيتك

من كنزي حياة تحياها، وأعطيتك أن تكون سيدا لها لا عبدا، عد بني:

وليحفظ قلبك عبر هذا الحلم.

يونوس: سأعود إذا؟!

ملك الكون: أما تود أن ترى جناك واحفاد المستقبل؟

يونوس: قد تكون هذه فكرة جيدة، لا بأس أن أحتسي بعد بعض فناجين قهوة أخرى

على الشرفة، أزور البيت، أمشي عند المساء.

ملك الكون: سيرافقانك فجر وشعاع.

يونوس: قد فعلت الكثير من الأخطاء، أليس كذلك؟

ملك الكون: ضميرك شاهد امين.

يونوس: نعم، أخطأت.

ملك الكون: مع نفسك أخطأت.

يونوس: ماذا أفعل الان؟

ملك الكون: عد، وكن صاحيا، فأنت المدير دفة سفينتك، لن تكون في بحر هاديء ،

ولن توجد وحدك – سأكون حولك، وكذا قوى اجناد مملكة الظلمة العاملين

في الخفاء ضدك، لا تستهن بهم، وثق انك الاقوى اذا ما استعنت بي وتذكرت

قدرتي الحارسة ومحبتي الكاسرة، عد بني وحصل جواز الدخول الى

أورحوبو المدينة العظيمة.

يونوس: كيف أفعل ذلك؟

ملك الكون: يونوس. هيا إذهب، وابحث عن الطريق، ولا تكف عن البحث، لن أتساهل

معك بني، إصح من حلمك وابحث.

يونوس: ابحث!

ملك الكون: ابحث.

يونوس: عن ماذا؟

ملك الكون: عن الطريق! أنا هو العلي القدير القديم، الكائن الحي، وملكي لا

يزول وسلطاني الى المنتهى، أنا هو من ينجي وينقذ ويعمل الآيات

والعجائب في السموات وفي الارض. أنا هو الملجأ الحصن، أنا هو الذي

ينجيك من فخ الصياد ومن الوبإ الخطر ومن يد الأسود، بخوافي أظللك

وتحت اجنحتي تحتمي. ترس ومجن حقي، لا تخشى من خوف الليل، ولا

من سهم يطير في النهار، ولا من وبإ يسلك في الدجى ولا من هلاك يفسد

في الظهيرة، لانك زرت مسكني وكشفت قلبك امامي - اختم بخاتم الحق على

كلامي وانهي معك هنا حواري – اقول لك: عد وابحث!

يونوس: مهلا، اين اختفيت!

**المشهد الثالث**

**(الارض)**

نمرود: نبروش.

نبراس: ماذا تريد الان من نبروش؟

نمرود: هل أنت متأكد أن مرورهم سيكون من هنا؟

نبراس: متأكد؟ غير متأكد؟ لست أعرف.. ما أعرفه هو أن هذا ما قاله ضرضرور

الكذاب.

نمرود: أي كمين هذا؟ لم كل هذا التأخير؟

نبراس: قد أكل الدهر عليك وشرب في مملكة الموت، أنت من يجب أن يعرف لم

هذا التأخير.

نمرود: ربما نعم، ربما لا. هل تسمع يا نبروش؟

نبراس: أسمع ماذا؟

نمرود: أنت لا تعرفني وقت التحدي الجدي.

نبراس: كلام سليم.

نمرود: أقول: هذه اول مرة نواجه الاعداء معا، أنا وأنت: قسما بالباطل، هذه

فرصتي سأنال منهم جميعا سريعا.

نبراس: بلمحة عين.

نمرود: سأنال رتبة جديدة، أتسيد فيها اكثر وات بالخراب الاعظم.

نبراس: يا لهذا الطموح.

نمرود: نعم، وسأعطيك انا موقعا سافلا ايضا بجانبي.

نبراس: هذا لطف منك.

نمرود: سوف ترى بعد قليل ماذا يستطيع نمرود فعله.

نبراس: بالطبع سوف ارى، فان صيتك لعلاع، رنان ويضرب في الارض أطنابا،

وقد سمعت عنك، وعن قسوة قلبك.

نمرود: حقا؟

نبراس: حقا.

نمرود: يبدو لي وكأنك تسخر مني.

نبراس: أنا؟

نمرود: هل تجرؤ؟.

نبراس: حاشا أن يكون كذلك، فلا يسعني إلا أن أكن جل الاحترام والمهابة لك

ولمملكة الموت ولرياساتها.

نمرود: إياك وسوء التقدير.

نبراس: سوء التقدير؟

نمرود: إحذر، المعايير هنا مختلفة.

نبراس: عن ماذا تتكلم؟

نمرود: أنت تعرف!

نبراس: لست أعرف ما الذي ترمي اليه؟

نمرود: أنت؟ ماذا فعلت؟ منذ أن سقطت أنت الى مملكتنا – مملكة الافعوان القديم

- منذ أن أرفقت معي - بدل "حقدون" الذي هلك قبل أوانه - ما رأيت منك

أي فعل يذكر، بل ثرثرة كلام في كلام.

نبراس: ألا تظن أن لكل شيء وقت.

نمرود: حكمة حمقاء، لا تتناسب مع فكرنا، ولأنها تستر سرا.

نبراس: أي سر؟

نمرود: حقيقة قلبك.

نبراس: أخبرني يا صاحب العقل الرشيد عن حقيقة قلبي.

نمرود: أستطيع أن أقول في هذا الشأن، وبعد خبرتي الطويلة كملاك ساقط: ان

فتورك وبرود أعصابك، وعدم تفاعلك بالشكل المطلوب مع بيئتك الجديدة،

ومع بقية الزملاء الساقطين له دلالتين لا ثالث لهما.

نبراس: أفصح.

نمرود: اما ان يدل هذا على انك جاسوس محترف لمملكة النور، وأتيت لتستطلع

أخبارنا، وتوقع بعض أجنادنا في شرك محكم.

نبراس: أو إما...

نمرود: أو إما يدل هذا على أن الندم وصدمة سقوطك شلا فكرك ووعيك فصرت

هنا بلا تأثير يذكر.

نبراس: وماذا تقول أنت؟

نمرود: أشك أنك جاسوس مبعوث من مملكة النور الينا.

نبراس: تشك أني جاسوس... لست أفهم. أأنا جاسوس في نظرك اذن أم لا؟

نمرود: بالتأكيد لست جاسوسا.

نبراس: لقد ارحتني.

نمرود: كل ما في الامر أنك لم تتحرر من الندم بعد على سقوطك العظيم.

نبراس: نظرة ثاقبة.

نمرود: وإن في جنبات قلبك لا زالت تسكن رقة ورحمة ستجعلك تسطلي بنارين. إذ

أنت في منطقة الوسط بين حنينك الى ماضيك في الاعالي، وبين مصيرك

الجديد وبذرة النقمة التي فيك، هذه التي من الافضل لها ان تنمو رويدا رويدا

حتى تصبح شجرة شر تظلل على الكثيرين.

نبراس: يا لها من قدرة على قراءة مكنونات النفس، كيف عرفت كل ذلك؟

نمرود: الخبرة.

نبراس: صحيح، فقد أنتنت أنت في أرض الموت، فأنت هنا منذ زمن بعيد كما قلت

لي.

نمرود: منذ غابر الازمان، ولذلك، أقول لك: احذر من منطقة الوسط هذه، أنت الان

في أرضنا، وأنت تعلم جيدا انه لا مفر لك من هنا، ليس أمامك الا ان

تمارس ما أعددت له.

نبراس: تحقيق الشر في البشر.

نمرود: والى الحد الاقصى.

نبراس: أشكرك حقا على نصائحك الابوية.

نمرود: لقد مررت بالجحيم الذي أعده ملك الكون لنا منذ اوائل الازمان، منذ ان أخطأ

رئيسنا الملعون العظيم، هل تعلم اي عذاب ينتظرك هناك؟

نبراس: بقدر الفرح الكامن في مدينة اورحوبو العظيمة.

نمرود: لا يمكنني ان اسرد لك بالكلمات العذاب الرهيب.. شيء لا يوصف.. لا يمكن

لخيالك الملائكي ان يتصوره. ولذلك يجب علينا فعل اقصى ما يمكننا حتى

نستحق هذا الجحيم، حتى نستحق الجحيم حقا، هذه هي رؤيتي واستراتيجيتي

للموضوع.

نبراس: تفكير انتقامي أصيل، ومع ذلك قد افاجئك اليوم.

نمرود: ما أنت الا رضيعا في الشرور، عندك فرصة ان تتعلم مني اليوم.

نبراس: يا له من شرف طمحت اليه طويلا.

نمرود: صدقني، لديك الكثير بعد لتعرفه وتتعلمه اذا أردت ان تكون شريرا حسب

الاصول.

نبراس: ماذا مثلا.

نمرود: كيفية استثمار البغض والحقد، تنويع اساليب الخداع.. العمل على غير

توقعات عدوك، الغدر، وتحقيق الانتصار من خلال المباغتة، الالتزام

لقانون فعل الشر، وعدم الالتزام لاي قانون اخر، حتى لو كان لذلك ان

يتسبب باهلاك زملائك.

نبراس: لا قيمة للثقة.

نمرود: لا داع للثقة ابدا في ارضنا، فإني لو دعت الحاجة ورأيتك في مأزق أو

ضيق فسأدير ظهري لك دون تردد، واتركك بين يدي مهلكيك.

نبراس: انت حقا الشخص المناسب، في المكان المناسب.

نمرود: ان في داخلي بغض كامن متكامل، وأنا أشد منك بغضا لنفسي، ولزملائي

من الملائكة الساقطين الحقيرين أمثالك، من ثم أشد منك بغضا لذرية البشر،

ولله ولخلائقه، والاهم من كل ذلك أنه لا يوجد عندي أي تأنيب ضمير.

نبراس: حقا.

نمرود: مات الضمير عندي نهائيا، هل تصدق ذلك؟

نبراس: بالتأكيد، كيف نجحت في ذلك؟

نمرود: لم يكن الامر سهلا، لقد أخذ هذا وقتا طويلا، بعد جهد كبير عملته على نفسي

حتى أنسى الخير والماضي الجميل الذي عشته في حمى السماء والمدينة

العظيمة.

نبراس: لا تستهن بالبغض والنذالة الذين عندي، وان كانا قليلين.

نمرود:أنت؟

نبراس: أجل، أنا، أظن أني برغم قلة خبرتي، ومع أنني في مملكة الافعوان زمنا

أقل منك، إلا أنني استطيع ان اكون أنذل منك في تخيلات الأفكار والأفعال،

من ثم في قدرتي على التخريب والاهلاك، قدرة تفوق تصورك، ما رأيك؟

نمرود: عن أي بغض وأي نذالة تتكلم؟ وقد استشفيت البارحة فقط من حديث عابر

كشف عن حنينك لماضيك في مملكة النور – مملكة أعدائنا، أوتنكر أنك لا

زلت تفتكر في المدينة العظيمة؟ وفي زملائك القدماء؟ عن أي بغض وأي

نذالة تتكلم؟ وأنت لم تنجح الى الان في أن تجر ملاكا صغيرا الى مملكتنا،

لم تهلك نفسا واحدة من أبناء البشر، لم تتسبب الى الان ولا حتى بحادث

سير، ولا بمرض، ولا بخصام أو شجار يذكر، ولا بمكيدة ماكرة، لم يضعك

الملعون الاكبر معي، الا لتتعلم مني أصول وفنون الخبث والأذى أيها

الحقير الصغير.

نبراس: انها فرصة اليوم ان يرى كل منا قدرات الاخر.

نمرود: نعم، وخذ هذه النصيحة - تذكر: البغض هو مفتاح اللغز، أعلم أنه لن يكون

سهلا عليك ان تتعود سريعا على العمل في مملكة الهلاك، ولكني سأساعدك،

لأني أكرهك أقول لك ذلك.

نبراس: صحيح، الحقيقة انني لم اتعود بعد للعمل في مملكة الموت الحقيرة

خاصتكم، وانني ما زلت متعلق بذكريات السماء المجيدة.. انا في مأزق.

نمرود: حسنا، اسمع: خذ مني هذه النصائح ان كنت تريد ان تصبح شريرا حقيقيا،

واستخدمها قدر الامكان وفي كل وقت، بل وان استطعت استخدمها في

صراعنا الان مع فجر وشعاع والبغيض يونوس.

نبراس: اخبرني فاتعلم كيف اروي عطش انتقامي.

نمرود: اول ما يجب ان تعرفه هو – كيف تكون واعيا لنفسك وللبيئة حولك حتى

تكون اذيتك ناجعة وباكبر قدر ممكن.

نبراس: نعم.

نمرود: تذكر ان التخريب امر سهل جدا، اسهل من البناء الذي يأخذ جهدا ووقتا

طويلا.

نبراس: هذا واضح.

نمرود: اعمل بحقد وكد، أنا كنت مثلك اول زماني.. ارتعد خوفا لهول مصيري،

افعل ابسط الشرور واقلها تأثيرا، افعلها رغما عني، اسقط عجوزا هنا،

اتسبب ببكاء طفلة هناك، ومع الوقت تطورت، وتطورت اساليبي وخبثي

ومكائدي، وتحررت من الخوف فلم يعد شعر رأسي يقف اذا ما طرق

مسامعي الخبر الرهيب، حتى صرت ما صرت، كما تراني الان، مملوء

الجعاب بفرط الأهوال، رائد الافكار الدموية حتى ما عاد بمقدور اي من

الاهوال ان يهزني – انظر الي – ماذا ترى؟ شريرا حقيرا بكل ما في الكلمة

من معنى، وبكل كبرياء سافل.

نبراس: كلام سليم، اتعجب من قدر السفالة التي استطعت ان تصل اليها.

نمرود: التدريب، والمتابعة، والنظر الى الهدف وعدم الاستسلام.

نبراس: كلام رائع.

نمرود: تابع شرورك، اسكت صوت الحق الذي فيك ولا تعره اي اهتمام، دع

ضميرك يموت الى النهاية، هذه عادة الخجل - يجب ان نتخلص منها جميعا..

نبراس: صدقت، كيف ستكون شريرا اذا كنت خجولا؟

نمرود: احسنت.

نبراس: الوقاحة اذن.

نمرود: الوقاحة ثم الوقاحة ثم الوقاحة، (يصفعه بكف قوي على وجهه) انا اكرهك

من كل قلبي، ولهذا اتكلم.

نبراس: شكرا، وانا اكرهك من كل قلبي ايضا، (يرد له الصفعة) الان بدأت افهم.

نمرود: اسمع صوتا، لحظة.

نبراس: هل وصولوا؟

نمرود: كلا، انهم اجنادنا في الارجاء، سيكون كمينا محكما، وسننال منهم الكثيرين

ونحقق انتقاما ضد مملكة النور. فلنتابع، اسألك سؤال.

نبراس: نعم.

نمرود: ما الذي يفسد الانسان؟

نبراس: ما الذي يفسد الانسان؟ هذا سؤال بسيط.

نمرود: ما الذي يفسد الانسان؟ قل لي، ماذا يأتي به الى التهلكة؟

نبراس: الكذب، الخداع...

نمرود: ماذا بعد؟

نبراس: النميمة..

نمرود: الحسد، التحقير والكسل، والشهوة الردية، والتكبر، والخيانات بجميع اشكالها

والقتل والدعارة..

نبراس: القائمة تطول وتطول.

نمرود: القائمة تطول وتطول، ولهذا وظيفتك كملاك ساقط صاعد، هي ان تتعلم

كيف تركز طاقاتك على تحقيق هذه الحالات في حياة البشر اعدائنا

الضعفاء - النساء، الرجال، العجائز، والاهم من هذا كله الاطفال، اذ هم

هدفنا السهل. البيت هو المؤسسة التي يجب ضربها بلا هوادة، والعلاقات

الزوجية..

نبراس: والعلاقات الاخوية.

نمرود: والعلاقات الاجتماعية.. علينا تكثيف الجهود لتدمير المجتمع ولتفعيل الفتنة

الطائفية بين الجميع، التخويف والترهيب، وتكذيب ملك الكون وانكار صلاحه

بين الناس وتشويه صفاته الطيبة الحسنة..

نبراس: اتسائل كم من الوقت سيأخذ لي حتى اصبح مثلك؟

نمرود: هي الان فرصتك لتتعلم، مهلا، اني اشم رائحة لحم ودم – رائحة خير!

نبراس: اجمل رائحة!

نمرود: انهض سلاحك، هوذا اوان الصيد قد لاح، ها هم، فلنلتهم هذه العصافير

البرية، هيا يا نبروش، اهجم بلا هوادة وتذكر الجحيم.

نبراس: هوذا سلاحي الصلب عار – انا جاهز.

نمرود: هيا اهجم انت اولا، اشتبك معهم، سأحاول ان أخطف أنا يونوس من يدهم،

وسأدعمك أنا من الخلف.

نبراس: ماذا تقول؟ ألتدير ظهرك وتجري.

نمرود: لا تخشى مني.

نبراس: بل منك اخشى. لا ثقة، أتذكر؟ّ

نمرود: نبروش، اننا كثر في الارجاء ونحن نفوقهم عددا وعدة، حتى اننا ثلاثة

اضعاف اكثر منهم، يونوس في يدنا، وفجر ضعيف القلب والنفس،

وشعاع، يسهل بسرعة ايقاعه بالاخطاء.. المعركة محسومة يا نبروش، ومع

ذلك سأبدأ معك، دعنا نشتتهم ونبلبلهم، وما ان نشتبك سيلتف حولهم البقية

كما خططنا، واجه انت فجر واترك الباقي لي.

(يدخل فجر، يونوس، شعاع)

فجر: نبراس.

نبراس: اسمي نبروش.

شعاع: احذر.

يونوس: ماذا يجري؟

نبراس: التقينا اخيرا.

فجر: نبراس، أنت.

نبراس: صديقي القديم.

شعاع: أفسحوا الطريق الان والا أرديناكم صرعى بحق ملك الملائكة – صاحب

الاسم العجيب.

فجر: لسنا نبحث عن أي مشاجرة الأن، أخليا الطريق وليمض كل منا الى

سبيله.

نبراس: ليس سريعا يا فجر، ألست في اشتياق لرؤيتي بعد كل ما مررنا به معا؟

شعاع: هل تريدا القتال أي هذين الساقطين؟

نمرود: القتال؟ كلا، كل ما في الامر اننا نريد هذا الانسان – يونوس اسمه، فيأتي

معنا في نزهة لطيفة في رحاب الهاوية، فامنحانا اياه فنعطيكما ان تفلتا من

قبضتنا بلا ان ننتف ريشة من جنحيكما.

شعاع: ستنالا ذلك اذا ما انقلبت السماء واستبدلت مكانها الارض، أو اذا ما فارقتنا

عناية الاسم العجيب –

نمرود: لا مفر لكما الا ان تستسلموا لنا. فقدرة الافعوان الملعون معنا وهي اشرس

مما تحتملون.

نبراس: فجر، يا فجر، أنصحكم ان تفعلا ذلك بالسلم والا ففي نزال

أليم.

نمرود: هيا ايها الحمام الابيض الرقيق، تعال الي يا يونوس – فها هي نهايتك بين

يدي.

نبراس: هلم هيا يا فجر.

شعاع: ان أوان الوغى، اديرا وجهيكما الي يا ابني الجحيم، الان أصعد عليكما أسدا

مغوارا - ويعميكما غبار رجلي ويكتم انفاسيكما - فجر، تنحى جانبا،

واحرص على يونوس، سأتدبر الامر وحدي.

فجر: بل دعني أخوض انا المعركة، اعتني انت بيونوس.

شعاع: فجر؟

فجر: إفعل كما قلت لك، واشهد ما تعمله قوة الاسم العظيم اذ تلفني فأسحقهما

تحت ارجلي سريعا.

(فجر ونبراس يتواجهان ويشتبكان – نمرود يحاول الوصول الى شعاع ويونوس، شعاع يحاول حفظ يونوس – عتمة ونور – موسيقى)

نبراس: هلم هيا – صديقي الحميم.

نمرود: نبروش، تذكر الضربة الخماسية القاضية.

شعاع: فجر، تذكر الضربة اللولبية التي علمنا اياها نجم الضحى.

فجر: لقد ذهبت الى الجحيم برجليك، ويقينا ستبقى فيها من دوني.

نبراس: الجحيم صقيع أحمر – أيه من عذاب ينتظر! لا يمكنني ان اسرد لك

بالكلمات.. شيء لا يوصف يا فجر... ولذلك علي أن أفعل اقصى ما

يمكنني من أذى حتى أناله عن استحقاق، حتى أستحق الجحيم حقا.

فجر: لقائنا الاخير، سأعود أنا بعده الى زرقة سماء اورحوبو – مدينتي

وبيتي، أما أنت فستغرب الى هناك - أسرع مما ظننت.

نبراس: هكذا أفضل كثيرا.

فجر: هلم هيا!

نبراس: هلم هيا!

فجر: وددت لو انك حفظت نفسك ولم تسقط.

نبراس: لم أفتكر يوما أننا سنكون أعداء.

فجر: ولا أنا.

نبراس: لقد كنت اتجنبك أنت بالذات.. ان روحي مثقلة أكثر مما ينبغي بما ارتكبته في

حق زمالتنا، علي ان اضع حدا لهذا الألم!

فجر: ما في جعبتي كلمات اوجهها لك بعد، فصوتي في سيفي الذي حتما يجب

أن يقطع الأوصال بيننا.

نمرود: هيا.. هيا.. ما أرى جهدكما إلا أنه سيضيع هباء، فإنه لأسهل على سيفيكما

الصقيلان أن يدميا الهواء من ان يدميانا، وجها ضربات سيفاكما الى

هامتيكما، أما عنا فإن حياتنا تحميها تعويذة سحرية ولا يمكن ان ينال منها

ملك أبيض!

شعاع: لا تثق في تعويذتك، ودع الروح التي كنت دائما تخدمها تخبرك عن الأت

عليك، ور الان كيف تنزع منكما انفاس الوجود. بهم يا فجر.

فجر: هيا الى النزال واللعنة على المغلوب منا.

نمرود: أيا ذا الحمام الابيض – هوذا قد-

حان، حان، حان، ابونا الموت يراقص مصيركن –

أيا حمام أبيض – جائتك الغربان

وحان، حان، حان، أبونا الملعون لا قلب له يحن -

الليلة، ليلة، ليلة -

نبراس: غرب عنا زماننا.

(يشتبكان، جلبة – عتمة ونور – أصوات - تأوهات)

شعاع: افلت أنت اولا، فأفلت أنا أيضا.

نمرود: ما هذا؟ أين أجنادنا؟ ويلي، نبرووووووووووش.

نبراس: بنا الى الجحيم.

(نبراس ونمرود يصرعان)

فجر: يونوس.

شعاع: خذ هذه.

فجر: أخ.

شعاع: وهذه أيضا.

فجر: أخ، ويلي، فكي.

شعاع: من أنت؟

فجر: هذا أنا.

شعاع: فجر، أهذا أنت؟ أهذه عينك؟

فجر: هلا أخرجت إصبعك من فمي لو سمحت.

(نور – نبراس ونمرود صريعين على بعضهما، شعاع منقض على فجر، يقفان)

فجر: ما هذا؟ ماذا جرى لك؟ لم وضعت إصبع يدك في فمي.

شعاع: لم يكن ذلك اصبع يدي.

فجر: لم يكن اصبع يدك؟ ماذا كان اذا؟

شعاع: أظن أنه اصبع الباهم لرجلي ما كان في فمك.

يونوس: الحمد لله انني لست ملاك.

فجر: (يتف) ما الذي جعل اصبع الباهم لرجلك يدخل فمي؟ أنظر الي، الى

اين تنظر؟

يونوس: حقا، كيف استطاع فعل ذلك.

شعاع: لقد حاولت ان ألف برجلي على وجه نمرود فأكتم أنفاسه بحركة مباغتة،

هكذا، لم أعلم أنك انت من سقطت تحتي.

فجر: يا الهي.

شعاع: يا الهي، ليس مرة أخرى.

فجر: ما بك؟

شعاع: لقد اصبت بالحول مرة اخرى، التوء بؤبؤ عيني مرة اخرى.

فجر: أنت من يصاب بالحول وأنا من يدفع الثمن لذلك.

شعاع: أنا أسف. لم يحدث هذا معي في كل مرة؟

فجر: لأنك تحاول أن تتفذلك.

يونوس: وأي فذلكة.

شعاع: يونوس العزيز، هل أنت بخير؟

يونوس: طالما أن إصبع الباهم لرجلك ليس في فمي أنا – فأنا في أحسن حال.

فجر: ويحي، أي معركة كانت هذه.

يونوس: أنظرا، لقد صرعا كلاهما.

شعاع: لقد حققنا الغلبة.

يونوس: ماذا حدث لهما، هل ماتا كما يموت البشر؟

شعاع:: بل هم في سبات وقد أبطلت قدراتهما.

فجر: سيزج بهما في سجن الهاوية الاليم الى اليوم الاخير - يوم يصفي

ملك الكون الحساب مع خلائقه.

شعاع: لم يعودا قادرين على فعل شيء الان.

يونوس: لقد قدرت يا فجر على غلبتهم وحدك.

فجر: كان نزالا غريبا، لولا أن شعاع أبلى فيهم معي البلاء الحسن.

يونوس: شعاع؟ ولكن شعاع كان حولي في خضم النزال.

شعاع: هذا صحيح، كنت أنا حولك أحرسك، صدقت يا يونوس.

فجر: ألم تدخل أنت العراك؟

شعاع: كلا.

فجر: ألم تشتبك مع نمرود أو نبراس؟

شعاع: كلا، فقط في النهاية لما تأكدت ان الفرصة سانحة، وانهم فاقدي القدرة على

أذية يونوس، حينها تدخلت، ولكني وجدت نفسي اشتبك معك انت وأضربك

انت.

يونوس: لقد صرعا قبل ان يتدخل شعاع اذن؟

شعاع: حقا، عافاك يا فجر، يا لقوة قلبك الرهيبة.

فجر: لحظة.

شعاع: انت ملاك محارب قدير، جندي مرس.. إن لي الفخر بأن أكون خادما معك

فجر: إهدأ يا هذا لحظة.

شعاع: أنت قدير، فجر - اسم على مسمى - قلت لك استخدم الضربة اللولبية

التي علمنا اياها نجم الضحى – استخدمتها فأرديتهما صرعا –

فجر: قلت لك: اهدأ لحظة. أنا لم أصرعهما، لم أصرع أحدا منهما البتة، بل بالكاد

اشتبكت مع نبراس، والحقيقة أنني استطعت أن أظفر بإصابته ببعض الضربات

الموجعة، الا أنني لم أتمكن منه كما يجب حتى أصرعه.

شعاع: ونمرود؟

فجر: لا أعرف.

شعاع: كيف صرع نمرود؟

يونوس: نبراس.

شعاع: ماذا نبراس؟

فجر: لقد فعلها نبراس.

شعاع: ماذا فعل؟

يونوس: لم يرد أن يؤذيك ولا أن يشتبك معك.

فجر: لقد قتل نمرود ثم قتل نفسه.

شعاع: عن ماذا تتكلمان؟ لقد أضعت مجرى الحديث، أعن نزال اليوم تتكلمان أم عن

نزال أخر؟

يونوس: لم يرد أن تهزم وتسقط الى مملكتهم –

فجر: نبراس -

يونوس: لم يرد أن تسير على خطاه فتؤول الى المصير البعيد الذي ندم هو انه ذهب

اليه

فجر: نبراس – عل العلي يلطف عذابك الاخير – شعاع، اذهب تفقد ماذا جرى مع

سرب ملائكتنا الذين حاصروا اجناد الظلمة الاعداء – وعد اسرع من لمح البصر.

شعاع: بؤبؤ عيني لا يساعدني على الرؤية.

فجر: هذه مشكلتك.

شعاع: كلا، هذه ليست مشكلتي ، أي كلام هذا؟

فجر: انت من تسبب في ذلك – بسبب فذلكتك الزائدة، هيا اذهب.

شعاع: لن أذهب.

فجر: شعاع.

شعاع: فجر.

يونوس: يا الهي.

شعاع: دعني أمضي بعض وقت مع يونوس للمرة الاخيرة.

(يدخل نجم الضحى)

نجم الضحى: تحية السلام اليكم، يونوس، فجر، شعاع.

شعاع: نجوم.

فجر: تحية الاجلال للأسم العظيم.

نجم الضحى: هل أنتم بخير؟

فجر: بخير.

نجم الضحى: أرى أن النتائج جيدة هنا أيضا.

شعاع: أجل.

فجر: لقد كان نزالا غريبا.

نجم الضحى: ستخبرني في فرصة قريبة.

شعاع: ماذا حققنا من انتصار في هذه المعركة.

نجم الضحى: لقد نجحنا، وحققنا خطتنا المرسومة منذ زمن، قد سقطوا بين أيدينا –

أعداد هائلة من الاسرى –

شعاع: هذه أخبار مفرحة حقا.

نجم الضحى: سيزجون في سجن الهاوية المعد لهم – فيرتاح بنو البشر زمنا وتقوى

فرص الخير في الارض زمنا – سنتابع حتى تتم ارادة ملك الكون التامة

كما تعينت ان تكون وفق حكمته، سنتابع حتى ينال أطفال الدنيا فرص

البقاء والنمو أكثر– حتى ينال الحزانى فرص الفرح، حتى تعمر

البيوت، وحتى يعود الى مدن القابضين على الخير والى شوارعهم

صوت الطرب ويسمع في أرضنا وسمائنا صوت الفرح، صوت

العريس وصوت العروس، سنتابع حتى ينال الجياع والعطاش شبعا

وارتواء، سنتابع حتى لا يخزى الطيبون الرحماء، حتى يقوى أنقياء

القلب، ويثبت الصانعين سلاما، سنتابع حتى لا يسلم الحائدون عن

النور أنففجرالى النهاية - الى الموت المحتوم في مملكة الافعوان،

سنتابع حتى تغلب كل صلاة وكل دعاء أجناد الظلام البائسة، سنتابع

حتى تبقى فكرة ان ملك الكون محبة - سائدة فوق كل الاسياد، يونوس

الطيب، أودعك بين يدي هذان الملاكان لأنطلق الى مهمتي القادمة –

أتمنى لك سنين هادئة هنيئة قبل أن تعود الى أورحوبو – مدينتنا

العظيمة في الوقت المتعين لك، ولتكن بركة ومحبة الاله ملك الكون

وروحه الحق معك، فلا تزل رجلك الى ارض الالم. فجر.

فجر: أجل.

نجم الضحى: شعاع.

شعاع: أجل.

نجم الضحى: قد أحسنتما صنيعا، أيها الملاكان الطيبان، وستنالان ما أعده لكما ملك

الملائكة العظيم من مكافأة ومجازاة، انت يا فجر- قد علمت من ملك

الملائكة انه أوصى بمنحك امتيازات ملائكية جديدة، شعاع سيكون

في رفيقك الدائم، وستعطيان اشياء جديدة ستعلمانها حين تعودا الى

فوق، أترككما لتعيدا هذه النفس الى جسدها – اختما عليها ببركة

السماء وقوة ملك الملائكة صاحب الاسم العجيب – وابق انت يا

فجر على عهدك، الحارس الامين لهذه النفس من الاعداء

الطالبين نفسه، العاملين على ضربه بالمرض والفساد والارتباك

والبلبلة، وجره الى أرض النكران والتذمر وجميع الاخطاء الفتاكة –

كن معه ولتكن معكم جميعا قوة العلي ولتحفظكم كل في شأنه.

فجر: ليكن حسب قولك.

شعاع: ليكن حسب قولك.

نجم الضحى: ألقاكم في أورحوبو قريبا.

(يخرج)

شعاع: يا لها من مجازاة يا فجر.

فجر: نعم، اروعها انك ستكون برفقتي!

يونوس: ستنالان رؤية أعماق المدينة العظيمة.

شعاع: أعماق المدينة؟

يونوس: أجل.

فجر: كيف عرفت ذلك؟

يونوس: لن أخبرك، ولكن عدني أن تعطيني إشارة بعد غد في الصباح وانا ارتشف

القهوة في الصباح في شرفة البيت مع زوجتي.

فجر: إذا ما صدقت بيقينك هذا، فسأمر بعد غد في الصباح، وانت ترتشف

القهوة في الصباح في شرفة البيت وأعبق حولك بعبق رائحة الناردين

فيشعر بذلك قلبك وتتنسم رائحة الرضى العميق والسلام اللذيذ –

وتتبسم بملء الوجه.

يونوس: الناردين؟ لم أشم رائحة الناردين هذا في حياتي.

شعاع: لم تشم الناردين؟

فجر: ستعرفها سريعا –

شعاع: هي كرائحة الطفولة.

فجر: حقا، فماذا قلت؟

يونوس: اتفقنا.

فجر: اتفقنا. والان، أطلب اليك أن تعود الى جسدك الراقد – الى منامك،

فنختم بذلك مهمتنا التي لم تكن سهلة بالتأكيد، ولكنها كانت ممتعة – أن

أراك واتكلم معك وجها لوجه، وان المسك، بعد السنوات الطويلة التي

عشتها وانا في رفقتك، منذ اول ايامك.

يونوس: انتهى حلم المنام اذن.

فجر: عد، الى نفسك، الى البيت، الى زوجتك، والى جنى دل والاحفاد، لا تدع

الصباح يفلت من يدك دون ان ترى فيه خالقك المحب، ولا تدع المساء

يمر دون ان تقبل راضيا ما أعطيت. اعلم انه لو كان لي التمني بأن

أكون شيئا أخر لكنت سألت ملك الكون أن يجعلني انسانا.

شعاع: أجل لساعة واحدة فقط.

فجر: أن أشعر معنى اللمس، معنى التمشي على شاطئ رمل البحر والتكلم

مع صبية جميلة، احتساء حساء دافيء في ليلة شتاء باردة.

شعاع: أن لا نحوم ونرفرف عاليا لساعة فقط، بل على الارض نمشي.

فجر: لو كان لي ان اجلس في المكان الخالي على المقعد العام قبالة الشارع،

أنظر الى المارة، يؤدي لي التحية احدهم.

شعاع: أن امسك سمكة بالحقيقة، وليس في الظاهر فقط، أن أكل خروفا مشويا حقيقيا

يوم السبت، واشرب كأسا حقيقيا من النبيذ المعتق، أن أكل كعكة كاملة

وحدي.

فجر: ليس من الضروري ان انجب طفلا، او ان ازرع نبتة او شجرة، ولكن

سيكون حلوا ان اعود للبيت بعد يوم طويل، ان اطعم القطة.

شعاع: ان تصيبني حمى، تسود اصابعي من حبر الجريدة.

فجر: ان اشعر كيف هو ان اخلع نعلي تحت الطاولة.

شعاع: وان الوي اصابع قدمي، حاف.

فجر: هكذا.

فجر: ان استثار ليس فقط ذهنيا او نفسيا.

شعاع: انما من خلال وجبة.

فجر: من مقطوعة موسيقية ونشيد.

شعاع: ان أخمن بدل ان اكون على علم كبير.

فجر: ان اكون قادرا على قول: اخ..

شعاع: اوف..

فجر: هي.

يونوس: سأفعل كل هذا من جديد.

فجر: إذهب.

يونوس: سنلتقي يوما ما في المدينة.

فجر: سنلتقي يقينا.

يونوس: سأذهب الان.

فجر: سأكون دوما معك.

شعاع: لا تستسلم مهما بدت الصورة سيئة، كن شجاعا كالأسد – فخورا.

فجر: ولا تعبأ بمن ضايقك أو أزعجك،

شعاع: لا تحتقر شيئا من صنائع خالقك الاعظم، لا نفسك ولا انسان...

فجر: إن قوته وانعاماته تكمن في الضعفاء. فلا تخجل من ضعفك او ترتبك به

وفي اخفائه لئلا يتكاثر ويبني اعشاشا في خفايا نفسك الطيبة فيقوض

اساسات سكينتك.

يونوس: لن أودعكما، بل ألقاكما في الموعد المحدد.

فجر: هلم هيا.

يونوس: وهكذا، الى موطن مولدي اعود، من منبت البقاء الى محط الوجود، اعود، الى

حريتي الجديدة، أعود لأرى من جديد الكثيرين من أصدقائي وأقربائي،

الطيبين والماكرين منهم على السواء، أعود اليكم، يا هذي الوجوه، التي عاشت

معي السنسن الطويلة، اليكم يا من أكلتم وشربتم معي، وأنا معكم.. اليكم يا من

حيوتموني في الصباح وسلمتم علي في المساء.. الى وجوهكم التي شاركت

معها الافراح.. وكنت معها في لحظات الاسى.. اليكم يا من ظلل باطن صديق

الصق من اخ، ومنكم ما ستر عدوا نفث كل جفى وبغض ولؤم. اليكم اعود أنا،

أنا من اختير بينكم ليرى بعض اسرار السماء، ومع اني في اشتياق للذين

سبقوني الى ارض السلام، الى ابي والمنتظريني في توق، لكني أعود الى

حياتي لاقف سيدا على مصيري، وعناية السماء في هذه الليلة وعدت - أن تمد

نفسي بكل عون وأمل، فأين لنفسي أن تتوه من بعد؟ أنى لها أن تحزن؟ قد

تعلمت درسا. ومن بعد، انفصل عني الموت المحتم، وخالق الكون قد حال

سورا منيعا عن هلاكي، وحاقني بالمحبة الى التمام، أي الهي واله بني البشر

والخلائق جميعها- صانع كل ما يرى وكل ما لا يرى: أعلم أنه لن يستمر

زمني في الارض طويلا، الا اني منذ الان ابني معك بيتي من جديد، بيتي

بيتك، واعود، لأكرم الاشياء الجديرة بالتكريم. وانت يا حلمي - اتركك الان،

حلمي يا ألذ حلم، شارفت الان على حافة الصحوة، الان، أخرج منك الى

صباحي الجديد، الى حياتي الحقة، التي سيكون حتما فيها سلامي وهدو مزيد،

اخرج منك يا حلم المنام الى حرب لن اهزم فيها، لأن السماء حارسة لخطاي،

وعليي القويم القدير، جعل عينيه حولي فلا أخيب، وشمسه تضيء الطريق فلا

أضيع، الان أعود الى ارض تهواها الشمس، شمس الدنيا علامة الاله، بل

كوكب صبحي المنير، فهلم اذن يا كوكب هيا، هلم التهب قبالة وجهي، لا بد ان

أغمض العينين أمام وهجك، لكن القلب يفتح الباب لك، فاسطع، أشرق واحرق

كل يباس، أنر ظلمات نفسي، واخرجها من عتمة الوجدان، فأرى اياما جديدة

كفرح الطفولة، كايام اللعب في البساتين، كايام صوت الاناشيد الاول، أول

الازمان. ماذا مضى من عمري؟ ماذا تبقى؟ تبقى بعد الكثير، جنى دل والصباح،

جنى دل ونسائم المساء، جناي واني أنا يونوس ابن ملك الكون - انسان.

الخاتمة

**كورس**: رجع يونوس من حلمو للأرض اللي بتهواها الشمس، ارضنا العجيبة، اللي

ملاياني ألم وفرح - زي سيعة الولادة، سيعة ما اجينا على هـ الدنيا، سيعة ما

بكينا اول مرة، يوم ما ملك الكون دعانا لهلـ حياة، يوم اللي كنا زغار، زغار

كتير، زغار لدرجة اننا سمعنا من القلب الصوت. خلصت قصة يونوس،

يونوس اللي عيونوس بلون التراب، واللي لبيتو في درج، يونوس اللي بحب

يفحص كل الاشياء، يفحص تدويرة السرة في بطنو, نور الصباح, قطرات

المطر الاول، الشمس, النط, شكل الزر بكمة القميص, لعروق بوراق التين,

حركة لهب النار, الاغراض اللي ع سطح البيت, العشب المايج, السباحة حد

الشلال, النغمات بصوت الشتا وهو عميغفى، منظر المطبخ من على

الكرسي, طعمات العلب بالمطبخ، قوس قزح، فصل الربيع, الصف الخامس،

الاغراض اللي في الجارور, اشكال لغيوم, لمعة المعلقة, شكل وجو ببقعة

المي، حركة العصافير بالسما, الوان الحجارة, الحصوات بقاع الغدير, غطى

الطاولة الابيض برا البيت, حلم البيت جوا البيت, محمود درويش، الخبز

والنبيذ، ماجدة الرومي، غوار، جمال عبد الناصر، الأفق, ملك الكون، نور

الغرفة في الزقاق, ركوب الدراجة والايدين عل جناب, الشخص الغريب

الجميل, خريطة الخطوط بكفو، انتو، ايد ابو, ابو, امو, نفسو.

هادا هو يونوس قدامكو، يونوس اللي قلبو مليان اسئلة، اللي حياتو زي اول حلم.

هو عايش اسا، حياتو بديت من جديد زي ما شفتوا،

هادا يونوس وهاي قصتو الغريبة مع الموت والحياة:

حكناها بالعربي الفصيح، حكينا أهم شي، ويلي غيبناه من تفاصيل،

فهمكوا بيعبي.